

تأليف

أسماء عمر حسن فدعق

□ هذه الدراسة نالت بها الكاتبة درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله الرءوف الصبور القدوس الشكور الودود الغفور الذى خلق البشر ووهبهم النعم وأرسل لهم رسلاً يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.. رسلاً ينيرون لهم طريق حياتهم المستقيم ويعرفونهم دينهم القويم.. لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وصلى الله تعالى على سيد الخلق والبشر الذى بلغ الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى سبيل دعوته إلى الله . وصبر على ما وجده من مشقة أيما صبر لدرجة يمكن القول عندها : انه ﷺ أصبر خلق الله لحكمه واشكرهم لنعمه.. وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد.. فالله سبحانه وتعالى حينما خلق الناس واستخلفهم فى أرضه جعل لهم عقولا بها يتميزون عن غيرهم من سائر المخلوقات.. وبهذه المنحة الالهية كان تكريم بنى آدم كما قال تعالى ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر**﴾[1] .

فبالعقل يستطيع المرء أن يميز الحق من الباطل ، والخير من الشر والنافع من الضار والحسن من السىء.. والعقل السليم هو الذى ينير لصاحبه طريقه ويهديه ويرشده ويجعله يأخذ معظم الأمور

---

(١) سورة الاسراء الآية ٧٠ .

بالتروى والصبر ، ومن ثم أكثر الناس صبرا وتعقلا أكثرهم نجاحا وفلاحا .

هذا وقد كان سبب اختيارى للموضوع نابعاً من مشاعرى وأحاسيسى بالاحتياج الكامل للصبر فى جميع تعامل الناس بعضهم ببعض سواء كانت معاملاتهم دينية أو دنيوية .. هذا أولاً .

وثانياً : لألقى ضوءاً يسيراً على ذلك الخلق الكريم (الصبر) الذى جعله الله سبحانه وتعالى جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو .. والذى ضمن لأهله فى محكم كتابه أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب .. والذى أكثر سبحانه من ذكره أكثر من أى خلق آخر .

ولما كان الصبر خلقا من أعظم أخلاق المؤمنين وله منزلة من أرفع منازل الصالحين .. وكان الحديث عنه يتفرع ويطول أحببت أن أبين أهم ما يتعلق به فى إيجاز أرجو الله تعالى ألا يكون مخلا .

ولقد صنفت هذه الرسالة على أربعة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول .. وأسماء هذه الأبواب هى :

الباب الأول : تمهيد فى حسن الخلق ـ وتحته فصول هى :

١ ـ تعريف الخلق لغة وشرعاً .

٢ ـ أمهات الأخلاق ومنها العفة ويندرج تحت العفة الصبر .

٣ ـ مظاهر حسن الخلق .. وهى كثيرة ومتعددة ومتفرعة (اقتصرت على ما سهله الله لى)

٤ ـ الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

الباب الثانى : الصبر وحقيقته ـ وتحته الفصول التالية :

١ ـ معنى الصبر لغة وفيه اقتصرت على المعنى المقصود الذى يخصنا .

٢ ـ حقيقته ومعناه الشرعى .

٣ ـ عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضيلة الصبر .

٤ ـ أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه .. أى المصبور عنه .

الباب الثالث : أقسام الصبر وتحته فصول :

١ ـ أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه .

٢ ـ انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به .. أى متى يكون واجبا ومندوبا .

٣ ـ انقسامه باعتبار محله . أى متى يكون بدنيا ومتى يكون نفسيا .

الباب الرابع : وتحته الفصول التالية :

١ ـ أنواع الصبر ـ أى الواجب وهى ثلاثة : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على البلاء .

٢ ـ الأسباب التى تعين على الصبر وهى ليست موجودة ومنظمة تحت أسباب يمكن أن نعطى الواحد منها عنوانا كما فعلت .. بل حاولت ما استطعت أن أكون من المتفرق وحدة وان أضعها تحت عناوين عامة بحيث تعطى الموضوع جدة وطرافة .

٣ ـ الأمور المضادة للصبر.
٤ ـ تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر.

الباب الأول

الفصل الأول : تعريف الخلق لغة وشرعاً .
الفصل الثـانى : أمهات الأخلاق .
الفصل الثالث : مظاهر حسن الخلق .
الفصل الرابع : الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

الفصل الأول
تعريف الخلق لغة وشرعاً

الانسان مدنى بالطبع اجتماعى بالفطرة ، يأنس ببنى جنسه ويأنسون به، ومعاملتهم لها حقوق وآداب جمة يجدر بكل انسان أن يتحلى بها فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، وأعظم مؤثر فى الالفة الاجتماعية على الاطلاق حسن الخلق ، وقد حث عليه الدين كثيراً لأنه موجب للتحاب والتآلف على الاطلاق .

وجاء الاسلام دين البشرية الصالح لكل زمان ولكل مكان فاعتبر الاخلاق من صميم الدين وليست خارجة عنه وليس أدل على ذلك من قوله تعالى فى مدح نبيه ﷺ **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**[1] ومن قوله ﷺ **«انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[2]

ومن ثم فنداء الوقت وواجب الساعة أن نهىء نفوسنا تهيئة روحية ايمانية خلقية علمية وذلك للنهوض بمجتمعنا الاسلامى إلى خير المستويات مستهدفين ما فيه مصلحة ديننا ودنيانا .. لذا كان لا بد لنا أن نعرف نبذة موجزة عن معنى الخلق وماهيته فى اللغة وفى الشرع .

---

(١) سورة القلم ٤ .

(٢) رواه أحمد ج ٢ ص ٣٨١ .

معنى الخلق لغة :

يقول ابن منظور :

الخلق والخلق بضم وبضمتين : السجية والطبع والدين ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون مخلوقا فى فطرته .

وقوله تخلق مثل تجمل أى اظهر جمالا وتصنع وتحسن انما تأويله الأظهار وفلان يتخلق بغير خلقه ، أى يتكلفه .

قال سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى غير شيمته ان التخلق يأتى دونه الخلق

وخالق الناس : أى عاشرهم على أخلاقهم .[1]

ويقول مجد الدين فى قاموسه :

الخلق والخلق بالضم وبضمتين : السجية والطبع والمروءة والدين[2] ويقال ، فلان حسن الخلق ، أى حسن الصورة الظاهرة له والهيئة الخارجية لتركيبه ، والحسن كما نعلم ضد القبح .

وفلان حسن الخلق : أى حسن الصورة الباطنة والهيئة الداخلية له[3] . فالخلق : للصورة الظاهرة للانسان وأوصافها ومعانيها المدركة بالبصر أما الخلق فهو للصورة الباطنية المركبة من روح ونفس المدركة بالبصيرة ، والثواب والعقاب انما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة لا بأوصاف الصورة الظاهرة .

لذا تكررت الآيات والأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع .

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ٨٨٩ . (٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) تاج العروس ج ٦ ص ٣٣٧ .

معنى الخلق فى الاصطلاح :

الخلق : عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال والأقوال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية .[1]

وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها ، فاذا ما ربيت هذه الهيئة على ايثار الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة فى الخير وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعا لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيه : خلق حسن .

ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة وذلك كخلق الحلم والأناة-والصبر والتحمل والكرم والشجاعة والعدل والاحسان وما إلى ذلك من الفضائل الخلقية والكمالات النفسية ، كما أنها إذا أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها أو ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوباً لها والجميل مكروها عندها ، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف قيل فيها : خلق سيء . وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التى تصدر عنها بالأخلاق السيئة وذلك كالخيانة والكذب والجزع والطمع والجفاء والغلظة والفحش والبذاء وما إليها .[2]

---

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٢ .
(٢) منهاج المسلم لأبى بكر جابر الجزائرى ص ١٥١ .



الفصل الثانى

أمهات الأخــلاق وأصولها

هى أربعة : الشجاعة والحكمة والعدل والعفة .

□ **ونعنى بالحكمة** : حالة للنفس بها يدرك المرء الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية .

□ **أما العدل** : فهو حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها .

ونعنى بالشجاعة : كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها .

□ **والعفــة** : هى تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع .

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها .

إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى واصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس .

ومن افراطها يصدر المكر والخداع والدهاء .

ومن تفريطها يكون البله[1] والغمارة والحمق والجنون .

والغمارة : قلة التجربة فى الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا فى شيء دون شيء .

أما الحمق والجنون فالفرق بينهما : أن الأحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوكه الطريق الموصل لغرضه . والمجنون يختار ما لا ينبغى اختياره فيكون أصل اختياره وايثاره فاسداً .[2]

□ **وخلق الشجاعة** : إنما يصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والصبر[3] والتودد وأمثالها من الأخلاق الحميدة .

وأما افراطها فيأتى منه الصلف[4] والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وتفريطها يصدر منه المهانة والذلة والجزع وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب .

□ **وخلق العفة** : يصدر منه السخاء والصبر والمسامحة والحياء والورع والقناعة والظرف وقلة الطمع واللطافة .

وميل العفة إلى الافراط والتفريط يحصل منه : الحرص

---

(١) البله : تعطيل القوة الفكرية التى تستعمل فيما لا ينبغى وكما لا ينبغى واطراحها فهى ليست نقصان فى الخلق كما يفهم منها ـ تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٢٦ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٣ .

(٣) قال ابن مسكويه : والفرق بين هذا الصبر والصبر الذى فى العفة أن يكون فى الأمور الهائلة وذلك يكون فى الشهوات الهائجة .

(٤) الصلف : مجاوزة القدر فى الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا لسان العرب ج ٣ ص ٤٦٥ .

والشره[1] والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة والمجانة[2] والعبث والملق[3] والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء.[4]

(١) الشره : هو الأكل فوق الحاجة ـ المنجد ص ٣٨٥ ، الانهماك فى اللذات والخروج فيها عما ينبغى : تهذيب الأخلاق ص ٢٧ ، والمراد هنا عدم الرضا بما قسم الله وحب الاستحواذ على ما عند الغير.

(٢) المجانة : أن لا يبالى ما صنع وما قيل له ، والماجن عند العرب : الذى يرتكب المقابح المروية والفضائح المخزية ولا يحضه عذل عاذل ولا تقريع من يقرعه ـ لسان العرب جـ ٣ ص ٤٤٢.

(٣) الملق : الزيادة فى التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغى ، ورجل ملق : يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه ـ لسان العرب جـ ٣ ص ٥٢٧.

(٤) احياء علوم الدين جـ ٣ ص ٥٣.

الفصل الثالث

مظاهر حسن الخلق

ذكرت فى تعريف الخلق أنه ملكة راسخة فى النفس تصدر عنها الأقوال والأفعال من غير فكر ولا روية ، ولهذه الملكة فى النفس مظاهر فى الخارج .. منها ما هو من الأقوال ومنها ما هو من قبيل الأفعال ، ومنها ما يرجع إلى السمت والهيئة التى يكون عليها الرجل ذو الخلق .. وسأذكر هذه المظاهر أو جلها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على حسب علمى .

أولاً : الآيات القرآنية الداعية لحسن الخلق

١ ـ قال تعالى : [١]

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتُونَ لِرَبّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * [٢] **إنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً * وَالَّذِينَ إذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ** [٣]

---

(١) سورة الفرقان (٦٣ : ٧٤) .
(٢) غراما : ملماً لازماً غير مفارق من عذب به من الكفار مهلكاً له .
(٣) الاسراف فى النفقة : ما جاوز الحد الذى أباحه الله لعباده إلى ما فوقه .

وَلَمْ يَقْتُرُواْ[1] وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً[2] * وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً[3] * يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَاباً * وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ[4] وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ[5] مَرُّواْ كِرَاماً * وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً * وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ .

فى هذه الآيات الكريمة يبين المولى عز وجل أن مشية عباد الرحمن متواضعة سهلة لا تكلف فيها ولا تصنع ولا خيلاء ولا تخلع

---

(١) الاقتار : ما قصر عما أمر الله به .

(٢) القوام : النفقة بالعدل والمعروف ـ جامع البيان ج ١٩ ص ٢٣ : ٢٥ ، وقال الزمخشرى فى الكشاف القوام : العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالها ج ٣ ص ١٠٠ .

(٣) الاثام : واد فى جهنم ـ ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٦ .

(٤) الزور : قيل هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والفسق والكفر والباطل وقيل هو اللغو والغناء . ويحتمل الكل ـ ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٨ .

(٥) اللغو : هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل أو ما يستقبح كسب الانسان بالباطل وذكر النكاح وتعظيم المشركين آلهتهم وسماع الغناء فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو ـ جامع البيان ج ١٩ ص ٣٢ .

وإنما فيها الجد والسكينة والوقار والقوة .. وهم لا يلتفتون إلى السفهاء والجهال وإذا خاطبوهم يخاطبونهم بالسلام ليس عن ضعف وعجز وانما عن ترفع واستعلاء يعفون عنهم ويصفحون ويصبرون ولا يقولون الا خيرا .

وهم فى الليل قوم مشغولون عن النوم المريح بما هو أروح منه وأمتع عاملون بالتوجه إلى ربهم .. الناس نيام وهم قائمون ساجدون ممتلئة قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم ـ الملازم المهلك لمن عذب به ـ هم معتدلون فى انفاقهم بين الاسراف والتبذير والاقتار والتضييق وفوق هذا لا يشركون بالله ويتحرجون من قتل النفس الا بالحق ومن الزنا ـ الكبائر التى تستحق أليم العذاب والذى ينجو منه من تاب وآمن الإيمان الصحيح وعمل صالحاً حيث تبدل سيئاته حسنات وكان الله غفورا رحيما ـ وهم لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا به كراما لا يشغلون أنفسهم بسماعه ... ومن سماتهم أنهم سريعو التذكر إذا ذكروا يتعظون ويعتبرون ويتلقون آيات ربهم بالفهم والاعتبار ويرجون أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم حتى تقر عيونهم وتطمئن قلوبهم .[١]

---

(١) من ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج ٦ ص ١٨٢ .

٢ ـ وقال تعالى : [١]

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ[٢] * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ[٣] فَاعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ﴾

وهؤلاء كتب المولى عز وجل لهم الفلاح لاتصافهم بصفات عظيمة .. صفات لها قيمتها فى ذاتها وفى حياة النوع الانسانى وهى :

١ ـ أن نفوسهم تستشعر رهبة الموقف فى الصلاة فتخشع ويسرى منها الخشوع إلى الجوارح والحركات والملامح .. فهم لا يشهدون الا الله ولا يحسون الا اياه .. ويكونون فى حالة خشوع تامة .

٢ ـ وهم أيضاً معرضون عن اللغو بجميع أنواعه ، لغو القول ،

---

(١) سورة المؤمنون ١ : ١٠ .

(٢) الخشوع فى الصلاة : خشية القلب والباد البصر عن قتادة : وهو الزامه موضع السجود ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والفرقعة والتشبيك وتقليب الحصا .

(٣) الزكاة : اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب إلى الفقير ، والمعنى : فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ـ الكشاف جـ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ .

لغو الفعل ولغو الاهتمام والشعور ، الى ذكر الله وتدبر آياته فى الأنفس والآفاق .

٣ ــ مهتمون بما فرض عليهم من زكاة فيها طهارة للقلب من الشح وثقة بما عند الله من العوض والجزاء .. زكاة فيها طهارة للمال أيضاً وتجعل ما بقى منه بعدها حلالا لا يتعلق به حق لأحد الا فى حالات الضرورة .

٤ ــ وهم كذلك حافظو قلوبهم من التطلع إلى الحرام ضابطو أنفسهم من دنس المباشرة فى غير حلال .. عالمون بالمواضع النظيفة التى يحل للواحد منهم أن يودعها بذور الحياة .. وهى الأزواج وملك اليمين .

٥ ــ وهم راعون لأماناتهم وعهدهم أفرادا وجماعات .. راعون لكل أمانة ولكل عهد ..

٦ ــ وهم لا يضيعون صلاتهم ولا يقصرون فى أدائها كما ينبغى وانما يقيمونها كاملة الفرائض والسنن .. فى أوقاتها .. المحددة .. مستوفية الأركان والواجبات .

٣ ــ وقال تعالى : [1]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

---

(١) سورة الانفال ٢ : ٤ .

(٢) روح المعانى ج ٩ ص ١٤٦ .

وهذه بعض صفات المؤمنين الكاملى الايمان المخلصين فيه .. فهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى فزعت استعظاماً لشأنه الجليل وتهيباً منه جل وعلا .. ولا منافاة بين هذه الآية والآية القائلة ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ فالإطمئنان لا ينافى الوجل والخوف لأنه عبارة عن ثلج الفؤاد وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهو يجامع الخوف ، ووفق بعضهم بين الآيتين بأن الذكر فى احداهما ذكر رحمة وفى الأخرى ذكر عقوبة فلا منافاة .

واخرج البيهقى وجماعة عن السدى أنه قال فى الآية : هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله تعالى فيجل قلبه ، وحمل الوجل فى الآية على الخوف منه جل وعلا كلما ذكر أبلغ فى المدح من جملة على الخوف وقت الهم بمعصية أو ارادة ظلم[1] .

وهؤلاء المؤمنون الكاملو الايمان اذا تليت عليهم آيات القرآن ازدادوا بها ايمانا ـ وقد استدل البخارى وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الايمان وتفاضله فى القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة بل قد حكى الاجماع عليه غير واحد من الأئمة[2] ـ ويقينا وطمأنينة زيادة على توكلهم عليه جل وعلا ، فهم يفوضون أمورهم إليه وحده فلا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه ولا يلوذون الا بجنابه ولا يطلبون الحوائج الا منه ولا يرغبون الا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف فى الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

---

(١) روح المعانى ج ٩ ص ١٤٦ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥ .

ومن صفاتهم انهم يقيمون الصلاة محافظين على أوقاتها وشروطها وأركانها وسننها .. يؤدونها على أكمل وجه وكما ينبغي أن تؤدى علاوة على أنهم ينفقون بعضا مما رزقهم الرازق .. وما رزقهم الله كثير وهم انما ينفقون ويصرفون بعضا منه سواء كان ذلك فى زكاة أو مواساة أو غيرها .

وهذه صفات جليلة انما توجد فى المؤمن الحق لذا عقب سبحانه وتعالى بقوله ﴿**أولئك هم المؤمنون حقا**﴾ ولم يكتف جل وعلا بمدحهم وبيان حقيقة ايمانهم وانما وضح ـ زاد فضله ـ بأن لهم كرامات ومنازل عند ربهم ومغفرة وتجاوزا عن سيئاتهم ورزقاً كريماً .. وهكذا بالتنكير للدلالة على حسن الجزاء وكثرة العطاء .

٤ ـ وقال تعالى :

﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (١)

تبين هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالعدل (٢) أى بالانصاف الذى لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بود أو بغض أو بغى أو فقر أو بصهر أو نسب . ومنه العدل فيما بين المرء وربه بتوحيده وعبادته واجتناب نواهيه واتباع أوامره . كما أن من الانصاف عدل المرء فيما بينه وبين نفسه بمنعها عما فيه هلاكها ،

---

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) بعض التفاسير تقول : ان العدل هو الواجب والاحسان هو الندب فى العبادات خاصة لكن عموم اللفظ يجعل مفهوم العدل مطلقاً عدا كون العدل والاحسان مبدئين فى الناحية الأخلاقية ـ الكشاف ج ٢ ن ٤٢٤ ، ج ٢ ص ٢٩٧ النسفى .

ومنه عدله فيما بينه وبين الخلق ببذل النصيحة وترك الخيانة وعدم الاساءة إلى الغير بقول أو فعل فى سر أو علانية[1] .

كما أنه جل شأنه يأمرهم بالاحسان إلى جوار العدل كى يدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح فى بعض حقه ايثارا لود القلوب وشفاء لما فى الصدور ، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوى جرحاً أو يكسب فضلاً بمعنى أن كل عمل طيب احسان ومن الاحسان ايتاء ذى القربى أى مراعاة صلة القرابة والرحم تعظيماً لأمرهم وتوكيداً عليه .. بالسؤال عنهم .. بالانفاق عليهم .. بزيارتهم .. بتقديم شىء من الهدايا لهم .

وهو جل وعلا ينهى عن كل قبيح من الأقوال والأفعال ومنه ما خصص به وهو فاحشة الاعتداء على العرض .[2]

وينهى عن كل فعل تنكره العقول وتأباه الشريعة من معاصٍ ورذائل ودناءات . ويخص البغى بالذكر وان كان داخلاً تحت المنكر فيفصله عنه لشدة ضرره ولأنه يعنى الكبر والظلم والحقد وان كان حقيقته العدوان ومجاوزة القدر والحد من كل شىء .

وأمر الله عز وجل بالعدل والاحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغى .. يوافق الطبيعة البشرية الصحيحة والفطرة السليمة والأخلاق الحميدة لذا عقب سبحانه وتعالى بقوله ﴿**يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ أى يذكركم أيها الناس لتتذكروا فتعرفوا أوامره ونواهيه وتعرفوا الحق لأهله .

---

(١) تفسير القرطبى ج ٥ ص ٣٣٨٢ ، أحكام القرآن لابن العربى ج ٣ ص ١١٧٢..
(٢) تفسير القرطبى ج ٥ ص ٣٧٨٣ .

والمتأمل لهذه الآية الكريمة يرى أنها كما قال فيها ابن مسعود : ان اجمع آية فى القرآن لخير أو لشر آية فى سورة النحل ﴿**ان الله يأمر بالعدل**﴾ الآية [1]

وقال فيها قتادة : ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه .[2]

٥ ـ وقال تعالى :

﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[3]

---

(١) الطبرى ج ١٤ ص ١٠٩ .
(٢) ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٢ .
(٣) سورة فصلت ٣٣ ـ ٣٤ .

وهذه الآيات متضمنة لبعض مظاهر حسن الخلق مما يجب على الداعية إلى الله التحلى بها ... ذلك أن القيام بواجب الدعوة إلى الله . الدعوة إلى الخير أمره عظيم وشأنه خطير يتطلب من الداعية أن تكون روحه سمحة وأن يكون حديثه صدقا وان تكون اخلاقه واسعة عالية يقول تعالى ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله**﴾ أى ليس هناك أفضل كلاما ولا أحسن حديثا من حديث الداعى إلى توحيد الله وطاعته المذكر بوجوده وربوبيته ، ليس هناك أحسن من حديث محمد ﷺ وذلك كما رواه ابن جرير. قال ابن زيد فى قوله ﴿**ومن أحسن قولاً**﴾ قال هذا رسول الله ﷺ .[1]

وروى ابن كثير عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعن عكرمة وابن عمر وعن مجاهد أن قوله ﴿**ومن أحسن قولا**﴾ إنما نزل فى المؤذنين .[2]

---

(١) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٠١ .

ولا يمنع من اعتباره ﷺ المقصود كما لا يمنع من كون المؤذنين هم العينين بالآية .. والذى يترجح أن تكون الآية عامة فى كل الدعاة إلى الله مهما اختلفت اساليبهم ووظائفهم .. ويدخل فيها رسول الله ﷺ دخولاً أولياً ويشهد له ما رواه ابن جرير عن قتادة فى قوله تعالى ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله**﴾ قال هذا عبد صدق قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه وان المنافق عبد خالف قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه[3] .. وهذا ما رجحه سيد قطب فى تفسيره.[4]

وفى قوله تعالى ﴿**وعمل صالحاً**﴾ قال ابن جرير فى روايته عن قيس بن أبى حازم أنه قال : الصلاة ما بين الآذان إلى الاقامة.[5] وقال عكرمة ﴿**وعمل صالحاً**﴾ أى صلى وصام[6] ، ولكن قوله تعالى ﴿**وعمل صالحاً**﴾ مطلق لا يعنى الصلاة فقط فكل عمل فيه طاعة للمولى عز وجل .. فيه اتباع أوامره واجتناب نواهيه فيه

---

(٣) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٥ .
(٤) تفسير فى ظلال القرآن ج ٢٤ ص ٢٤٠ .
(٥) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٥ .
(٦) تفسير القرطبى ج ٧ ص ٥٨٠٤ .

مرضاته ومن ثم فيه فائدة عائدة على العامل وغيره فهو عمل صالح .

.. ﴿**وقال انني من المسلمين**﴾ أكد أن دعوته إلى الله وأعماله الصالحة جميعها انما هي طاعة الله وخشوع له بالايمان بوحدانيته وهذا القول ليس على سبيل الزهو والفخر وإنما على سبيل التحدث بنعمة الله ، ومن كان هذا دافعه لم يهمه أن تستقبل دعوته بالإعراض أو بسوء الأدب ذلك أنه عالم بأنه ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة**﴾ أى مهما كانت فأثرها وقيمتها لا تستوى مع السيئة كما لا يستوى العفو مع الانتصار ، وفرق عظيم أيضاً بين مداراة الأمر والغلظة فيه ﴿**ادفع**[1] **بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**﴾ نعم هناك فرق بين مقابلة الغضب بالغضب وبين مقابلة الغضب بالسكينة ، بين مقابلة الاساءة بالاساءة وبين مقابلتها بالعفو والصفح ، فرق بين تلبية رغبة النفس فى مواجهة الشر بالشر وبين كبت هذه الرغبة بمواجهة الشر بالخير .

إن القلب الكبير هو الذى يدفع بالتى هى أحسن فى جميع الحالات وان كانت لديه القدرة على الاساءة والرد .. وتلك نتيجتها حسنة حيث تدعو البادىء بالعداوة إلى التراجع عن عداوته وتغيير موقفه إلى موقف محبة وموالاة وقرابة من المحسن .. تجعله وليا قريبا حميما .

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنه : أمره الله تعالى فى هذه الآية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم ، القرطبى ج ٧ ص ٥٨٠٦ .

﴿وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾
وهذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان درجة عظيمة من الأخلاق لا يلقاها كل انسان بل يلقاها أهل الحلم والصبر ويلقاها من يتفضل المولى عز وجل عليه بها ممن له نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة .

وقد فسر قتادة الحظ العظيم بالجنة[1] .

وبعد .. فهذه مواضع كريمة من آيات الله العديدة ذات المواضع الكثيرة فى القرآن الكريم والتى فيها بيان صفات حميدة هى علامات حسن الخلق الواجب توافره فى الفرد المؤمن .. ثانيا الأحاديث النبوية الداعية لحسن الخلق .

الأحاديث النبوية الداعية لحسن الخلق :

وهناك أحاديث جمة شريفة تشير إلى صفات عظيمة هى فى الحقيقة علامات لحسن الخلق وثمراته منها :

١ ـ ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[2] .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٦ .
(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ج ١٦ ص ١٧٠ .

جمع هذا الحديث خصالا من الشر نهى عنها لأنها لا تتفق وخصال الخير التى دائماً يحث عليها المصطفى عليه الصلاة والسلام فنهى عن بيع المسلم على أخيه المسلم وعن التدابر والهجران والمعاداة وعن تمنى زوال النعمة عن الغير وعن اغراء الناس لشراء السلع ذلك أن عباد الله فى الحقيقة إخوان سواء بسواء فلا يحل لأحد أيضاً أن يظلم أحداً ولا يترك نصرة أخيه بدون عذر ولا يحتقره ويستصغره لأن ذلك كله لا يفعله الا من كان قليل التقوى . فمن كانت خشية الله فى نفسه غالبة ومراقبته دائمة لا يقوم بتلك الأعمال بل يجتنبها ويعظم حرمات أخيه المسلم ولأن تخلقه بذاك مصلحة لنفسه وأسرته وأمته ورفعة فى دينه .

٢ ـ ومنها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ـ أو قال لجاره ـ ما يحب لنفسه)** [١] .

لو تأملنا هذا الحديث الشريف لوجدنا سبباً قوياً من الأسباب التى تعقد روابط الأخوة وتدعو إلى الألفة والمحبة ألا وهو محبة المرء لأخيه المسلم من الطاعات والأشياء والمباحات ما يحبه لنفسه تماما ويكفى بهذا خلقا دافعاً لمعاشرته غيره معاشرة الأخوة الأشقاء فى المودة والشفقة والتعاون والألفة والرفق والملاطفة .

٣ ـ ومنها ما رواه الترمذى عن عبدالله قال : قال رسول الله

---

(١) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ـ انظر فتح البارى ج ١ ص ٥٤ .

ﷺ **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء»**[1]

يبين الحديث الشريف أن الأخلاق لها مكانة عالية فى الايمان وان من لم يحسن خلقه : فينطق لسانه بالسباب واللعن ويخوض فى الأعراض ويلفظ بهجر الكلام وقبيحه فهو ناقص الايمان .. لم تملأ العقيدة نفسه ولم يتمكن الايمان من قلبه ، فالمرء انما يتم ايمانه اذا أدى ما أمر الله به ورسوله الكريم من عبادات واخلاق وحسن معاملة للناس .

٤ ـ وجاء فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان الانصارى أنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : **«البر حسن الخلق والإثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»**[2] .

والبر هنا كلمة جامعة لكثير من الخيرات ، لكثير من الأعمال الصالحات وقد فسرها العلماء بعدة معان منها «الصلة وحسن الصحبة والعشرة واللطف والطاعة» .. وهذه الكلمة ذات المعانى الجامعة لحسن الخلق هى مما يجب على المسلم الالتزام بها .. ومقابلها الإثم الذى فسره ﷺ بأنه ما تردد فى النفس لم ينشرح له الصدر وحدث فى القلب منه شك فى كونه ذنبا لذا عقب ﷺ بقوله **«وكرهت أن يطلع عليه الناس»** وما يكرهه المرء من اطلاع الناس على أعماله انما هو ارتكابه للذنوب .. للفواحش .. للمنكرات .. والأعمال الفاسدة التى لم تطمئن نفسه فى تأديتها أو لم تنظر فى عاقبة العمل أو كونها من الشبهات التى تؤدى إلى ارتكاب المحرمات ،

---

(١) الترمذى باب ما جاء فى اللعنة ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تفسير البر والاثم ج ١٦ ص ١١٠ .

فالحديث الشريف مع وجازة ألفاظه وضع لنا قاعدة عظيمة دالة على كثير من الأخلاقيات المترتبة عليها أعمال خيرة يعيها كل متأمل متدبر فى الحديث .

هذه الأحاديث الشريفة التى أوردتها فى الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة ما هى الا جزء يسير مما ورد من أحاديث شريفة شتى هى أسس ثابتة تبنى عليها المجتمعات تعاملها بالأخلاق الحميدة .

ولقد ورد فى أعمال السلف الصالح وأقوالهم ما يدل على تخلقهم بالأخلاق الحسنة واهتمامهم بها وبثمراتها للفرد وللجماعة فراح بعضهم يعرف لنا علامات حسن الخلق .

قال على رضى الله عنه : (حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال) .[1]

وسئل سهل التسترى[2] عن حسن الخلق فقال : أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه .

وقال يوسف بن اسباط[3] : علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون

---

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٢ .

(٢) حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٩٠ ، الاعلام ج ٣ ص ٢١٠ .

(٣) الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢١٨ .

عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه .[1]

وخلاصة ما سبق يمكن أن نلم به فنقول :

إن مظاهر حسن الخلق وتعريفه ككل بأن يكون الفرد بارا رفيقا أمينا مؤدياً للفرائض مجتنبا النواهى صالحاً عفيفا حليما ليس بلعان ولا مغتاب ولا نمام ولا حقود ولا حسود بل محب للخير كثير الحياء صبور صادق طلق الوجه موصل للرحم أعماله أكثر من أقواله ومن ثم فهو يحب فى الله ويرضى فى الله ويبغض فى الله ويغضب له ، فهذه الخصال الوارد ذكرها فى الآيات الكريمة والأحاديث مع بعضها تكوِّن لنا حسن الخلق .

---

(١) الاحياء ج ٣ ص ٦٩ .



الفصل الرابع
الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق

لا شك أن الخلق الحسن هو صفة سيد المرسلين ﷺ وسمة عباد الله المتقين وهو من خصال الناس المهديين الصديقين . ولقد نوه الاسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تنميته فى نفوس المسلمين ، كما أثنى المولى عز وجل على نبيه عليه الصلاة والسلام لحسن خلقه فقال ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1] فهو ثناء فريد صادر من رب الوجود لرسول عقيدة طاهرة يجد المرء العنصر الأخلاقى بارزاً أصيلا فيها حيث أنها التى تدعو إلى الصدق والبر والأمانة والنظافة وموافقة النية والضمير للقول والفعل ، وحفظ العهد والعدل والنهى عن الظلم والغش والحقد وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك .

وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : (كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن)[2] فسيرته الشخصية تقوم مثالا حيا وصورة رفيعة وصفحة نقية تستحق ثناء الخالق عز وجل .. وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه «**انما بعثت لأتمم مكارم**

---

(١) سورة القلم ٤ .
(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٨١ .

الأخلاق»[1] ومن ثم تأتى أحاديثه ﷺ متتابعة تبين مكانة الأخلاق النبيلة فى الاسلام ، منها ما رواه الترمذى أيضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « **إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»** .[2]

ومنها ما رواه أبوداود فى سننه عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ «**أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقاً ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**[3] وما أعظمه من أجر لشىء فى مقدور الانسان فعله والتحلى به والمواظبة عليه . وقال الجنيد :[4] أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق .

وقال يحيى بن معاذ[5] : فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد .

وسئل ابن عباس : ما الكرم ؟ فقال : هو ما بين الله فى كتابه

---

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٨١ .

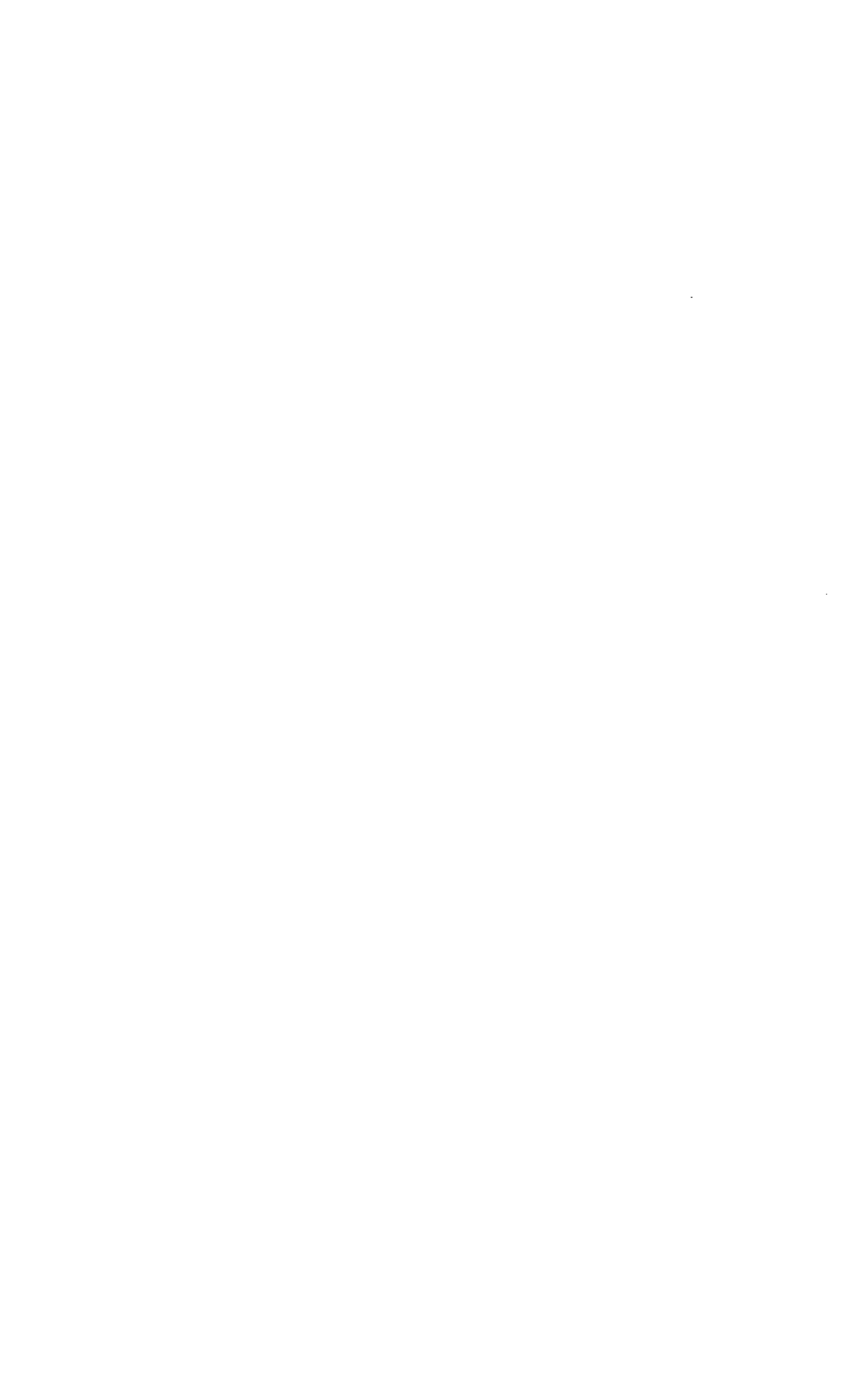
(٢) رواه الترمذى باب ما جاء فى معالى الأخلاق ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٣) رواه الترمذى باب فى استكمال الايمان ج ٤ ص ١٢٢ .

(٤) من العلماء بالدين مولده ووفاته ببغداد ، راجع حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٥٥ ، الاعلام ج ٢ ص ٣٧ء .

(٥) واعظ زاهد لم يكن له نظير فى وقته توفى سنة ٢٥٨ . الاعلام ج ٩ ص ٢١٨ ، وفيات الأعيان مجلد ٦.ص ١٦٥ .

العزيز ـ **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** ـ قيل فما الحسب ؟ قال : أحسنكم خلقا وأفضلكم حسباً . وقال : لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق .



الباب الثانى

الصّـــبر وحقيقته



الفصل الأول

معنى الصبر لغة

أصل الصبر : الحبس والمنع وكل من حبس شيئاً فقد صبره ومنه قوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾[1] .

والصبر : نقيض الجزع ومنه قوله تعالى على لسان أهل النار ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[2]

يقال : صبر الرجل يصبر صبرا فهو صابر وصبار وصبير كأمير وصبور والأنثى صبور أيضا بغير هاء . والجمع صبر .[3]

وورد للصبر عدة معان أخرى غير معنى الحبس وهى :

الصبر : بمعنى الثبات قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾[4] أى بالثبات على ما أنتم عليه من الايمان .[5]

والصبر بمعنى الجرأة قال تعالى ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[6]

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٨ .
(٢) سورة ابراهيم الآية .
(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٣٢٣ .
(٤) سورة البقرة الآية ٤٥ .
(٥) لسان العرب المجلد الثانى ص ٤٠٤ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٧٥ .

أى أجرأهم ويقال : ما أعملهم بعمل أهل النار[1]

وجاء الاصطبار : بمعنى الاقتصاص ومنه قول عثمان رضى الله عنه حينما عوتب فى ضربه لعمار : هذه يدى لعمار فليصطبر.[2]

وتصبر واصطبر : أى جعل له صبرا .

(١) التكملة والذيل والصلة ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٦٧ .

«الفصل الثانى»

حقيقة الصبر

وحقيقة الصبر تكمن فى بيان معناه الشرعى :

فالصبر شرعاً : حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش ..[1] وهذا يصدق إذا حبس العبد نفسه مع الايمان وأركانه الستة من ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

يقول الغزالى فى تعريفه :

الصبر هو : عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة فالصفة التى فارق الانسان بها البهائم فى قمع الشهوات وقهرها يمكن أن نسميها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ، وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى .. فان ثبت باعث الدين حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ١٥٦ .

الله والتحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق بأتباع الشياطين.[1]

هذا ويزيد الصبر شرفا ان من أسماء الله تعالى الصبور تبارك وتقدس وهو الذى لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من معنى الحليم والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم.[2]

سئل الجنيد عن الصبر؟ فقال تجرع المرارة من غير تعبس[3] . بمعنى الصبر على المصيبة فقط .

وقال ذوالنون المصرى : الصبر : التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيسة.[4]

وهذا تعريف غير شامل حيث أنه تضمن قسمين من أقسام الصبر.

وقال عمرو بن عثمان :

هو الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة[5] . ويمكن أن يكون تعريفه هذا شاملاً لأقسام الصبر إذا اعتبرنا أن الثبات مع الله يعنى الصبر على طاعته والصبر على معصيته .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الصبر مطية لا تكبو.[6] فكأن الصبر مطية العبد التى يسير عليها فى الطريق الحق

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٦٢ .

(٢) لسان العرب المجلد الثانى ص ٤٠٣ .

(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

دون تعثر مادام متمكناً من زمامها محسنا توجيهها .

مما سبق نرى أن الأقوال اختلفت فى تعريف الصبر وبيان ماهيته لأن دائرته واسعة ومجالاته متعددة . ويمكن أن نخرج منها بتعريف قد يقارب الصواب ـ وان كان تعريف الغزالى أصوب ـ وهو :

إن الصبر خلق فاضل من الأخلاق الاسلامية الواجب التحلى به يقدم به المرء على فعل الجميل ويمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يليق به كمسلم وغرضه من ذلك ابتغاء مرضاة الله . قال تعالى ﴿**وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾ .[1]

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٢ .



الفصل الثالث

عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضيلة الصبر

نلاحظ أن القرآن الكريم عنى عناية بالغة بالصبر لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية بل هو ضرورة دينية ودنيوية لازمة للانسان كى يعيش بسلام فدينه لا ينتصر ودنياه لا تستقيم الا بالصبر.. كما أنه أكثر خلق تكرر ذكره فى القرآن العظيم.

كتب العلامة ابن القيم نقلاً عن الامام أحمد قوله : الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً[١] . وذكر صاحب قوت القلوب عن بعض العلماء قوله : وأى شىء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعاً ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر.[٢]

ويقول الامام الغزالى : ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعاً[٣] ونجد فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (صبر) بكل مشتقاتها قد وردت فى القرآن مائة مرة وبضع مرات.[٤]

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٧ .

(٣) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٠ .

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٣٩٩ : ٤٠١ .

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بعبارة واحدة : ان كلمة صبر يمكن أن تأتى فى موضع واحد مكررة فيحسبها البعض موضعاً واحداً ويحسبها البعض اثنين أو أكثر كما جاء فى أواخر سورة النحل **﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله﴾** اذن فحاجة البشر إلى فضيلة الصبر شديدة .

وإذا كان الطالب والزارع والمقاتل والعامل ومحبو المجد وطلاب المعالى عرفوا أن الرفعة فى الدنيا كالفوز فى الآخرة لا تنال الا بركوب الصعاب واجتياز المشقات والصبر عن كثير مما يحب وعلى كثير مما يكره فالمؤمنون أولى بتلك المعرفة ذلك أنهم أشد تعرضاً للمحن والأذى فى أنفسهم وأموالهم وكل نفيس لديهم .. أولى بأن يتخلقوا بخلق كريم ذكره المولى عز وجل فى مواضع شتى ترغيباً فيه وحثاً عليه فهو جل وعلا :

١ ـ قال : **﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾**[1] .. فذكر هنا أن الصبر شقيق النصر وضمن لأهله المدد والفوز .

٢ ـ وقال : **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ**[2] **وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** وبين هنا أنه يورث صاحب الصبر

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٥ .

(٢) سورة السجدة الآية ٢٤ .

درجة الامامة .

٣ ـ وقال : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ﴾ [١] فأخبر جل وعلا عن محبته لأهل الصبر وفى ذلك أعظم ترغيب للراغبين .

٤ ـ وقال جَل شأنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ [٢] مخبرا أنه معهم وهذه المعية معية معنوية ، تشمل هدايتهم ونصرهم وتأييدهم وحفظهم .

٥ ـ أوجب جل وعلا للصابرين الجزاء الحسن على أعمالهم بل سيعطيهم أجرهم مرتين بل سيوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

يقول تعالى فى الآية السادسة والتسعين من سورة النحل **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**

كما يقول جلّ شأنه **﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [٣] وكما قال تعالى فى الآية العاشرة من سورة الزمر : **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** فما من حسنة من الحسنات ولا قربة من القربات الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر جاء فى

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .

(٢) اسورة لأنفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة القصص الآية ٥٤ .

لحديث القدسي (**الصيام لى وأنا أجزى به**)[1] فاضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات.[2]

٦ - أوضح المولى عز وجل ما أعده للصابرين يوم القيامة من أجر عظيم لا يعلمه الا الله ومن استحقاق دخول الجنة ومن تكريم بتسليم الملائكة عليهم حيث قال وجل وعلا:

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[3]

كما قال تعالى: **﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾**[4]

﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما﴾[5]

كما قال جل وعلا: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.[6]

وفى ذلك ترغيب فى الصبر وحث عليه فالتوفيق فى الدنياوالفلاح فى الآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل خير يحرص الفرد أو الجماعة على حصوله منوط بهذه الفضيلة العظيمة

---

(١) صحيح البخارى كتاب الصوم باب فضل الصوم وانظر فتح البارى ج ٤ ص ٩١، صحيح مسلم كتاب الصوم بار فضل الصيام ج ٨ ص ٣١.
(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٠ مطبعة البابى الحلبى بمصر.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥.
(٤) سورة الانسان الآية ١٢.
(٥) سورة الفرقان الآية ٧٥.
(٦) سورة الرعد الآية ٢٤.

وكما عنى القرآن الكريم بالصبر هذه العناية الفائقة عنيت السنة النبوية بهذه الفضيلة أيضاً وقد ورد فى الصبر وأقسامه والإثابة عليه فى الدنيا والآخرة أحاديث كثيرة لا تحصى وإليك بعضاً من هذه الأحاديث :

١ ـ جاء فى صحيح مسلم عن عمر بن كثير بن أفلح قال : سمعت ابن سفينة يحدث أنه سمع أم سلمة زوج النبى ﷺ تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، الا أجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها**» قالت : فلما توفى أبوسلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ فأخلف الله لى خيراً منه رسول الله ﷺ .[1]

فهذا الحديث الشريف فيه بيان فضل هذا القول ﴿**إنا لله وانا إليه راجعون**﴾ وفيه الدعاء بطلب الصبر والتعويض خيراً ، فالمرء متى ما صبر على مصيبته وذكر الله ودعاه أعطاه الله جزاء صبره خيرا وعوضه عن همه فرجاً .. وهذه أم سلمة رضى الله عنها حينما صبرت على مصابها بوفاة زوجها رزقها المولى عز وجل خيرا منه وأفضل رسوله ﷺ .

٢ ـ وعن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن صهيب بن سنان قال : قال رسول الله ﷺ : «**عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس**

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة ج ١٦ ص ٢٢٠ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٧ .

ذلك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[1]

وفى مسند أحمد فى رواية سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله ﷺ **«عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكر وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر فى كل أمره حتى يؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته»** ويؤخذ من هذين الحديثين أن المؤمن الصادق فى إيمانه بالله واليوم الآخر مأجور على جميع أعماله الخيرة فإذا قدر له الخير والسعادة قدر له العيش الهنىء فعرف حق نفسه فيه وحق غيره عليه وحمد الله وشكره أثابه الكريم العظيم على شكره وعدم جحوده نعمته .. وإذا قدر له التقتير فى الرزق والتنغيص فى العيش .. قدرت له المصائب والعظائم فحمد الله واسترجعه وصبر على ما قدر له كان فى ذلك أيضاً خير له حيث ينال ثواب صبره وايمانه بالقدر خيره وشره حتى أنه ليؤجر فى اللقمة التى يسعى لجلبها لزوجته وأسرته ...

٣ ــ وروى البخارى عن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا سعيد أخبره أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فلم يسأله أحد منهم الا أعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين نفد كل شىء أنفق بيديه **«ما يكون عندى من خير لا أدخره عنكم وانه من يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاء خيرا**

---

(١) صحيح مسلم ج ١٨ ص ١٢٥ فى باب احاديث متفرقة ، مسند أحمد ج ١ ص ١٧٣ .

وأوسع من الصبر» .[1]

فى هذا الحديث الشريف حث على القناعة والاستغناء عن الناس والتعفف عن سؤالهم بالصبر والتوكل على الله وطلب رزقه هو وفيه بيان بأن الصبر أفضل ما يعطاه الانسان من خير لكون الجزاء عليه غير محدود فهؤلاء الجماعة من الأنصار أتوا إليه ﷺ ليسألوه فأعطاهم ثم سألوه مرة أخرى فأعطاهم حتى نفد ما عنده ـ كما فى رواية مسلم ـ وعند ذلك قال لهم : ما يكون عندى من خير فلن أحجبه عنكم لغيركم ولكن هناك قاعدة عظيمة ينبغى الالتفات إليها ألا وهى : أن من يستعفف عن سؤال الناس ويستغنى عنهم ويحاول أن يصبر نفسه ويقنعها بما كسبت وحصلت فالله معينه فى ذلك . وأفضل من ذلك كله الصبر فهو خير عطاء وأوسع عطاء يعطاه الانسان من مولاه .

٤ ـ وجاء فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال **(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه)** .[2]

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله ، وانظر فتح البارى ج ١١ ص ٢٦٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المرضى ـ باب ما جاء فى كفارة المرض ، وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩١ وفيه نصب : هو التعب . وصب : أى مرض وقيل هو المرض اللازم الهم والحزن هما من أمراض الباطن لذا ساغ عطفهما على الوصب ، الأذى : قيل هو ما يلحق الشخص من تعدى غيره عليه . الغم هو أيضاً من أمراض الباطن لذا اساغ عطفها على الوصب ، الأذى : قيل هو ما يلحق الشخص من تعدى غيره عليه . الغم هو أيضاً من أمراض الباطن وهو ما يضيق على القلب .

يبين ﷺ فى هذا الحديث الشريف جزاء الصبر على الشدائد ويحث على تقبل الابتلاء بها واحتمالها .. والجزاء هنا تكفير الخطايا والذنوب وهو ثواب عظيم لا يناله كل من أصيب بتعب أو إرهاق أو مرض مزمن أو حالات نفسية أو جسدية هكذا دون صبر أو معاناة أو رضا بالقدر فالصبر إذن ضرورة ـ خاصة ـ للمؤمنين تحقيقا لقوله تعالى ﴿**الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ**﴾[1] الذين صدقوا أى فى إيمانهم بالله وايمانهم بالقدر خيره وشره . لذا قال عليه الصلاة والسلام : «**حتى الشوكة يشاكها**» فسواء دخلت فى جسد الانسان بنفسها أو أدخلها أحد فصبر على ما يجده من ألمها . وسواء كان المقصود بها شوكة حقيقية مادية أو معنوية من إساءة رئيس أو غيره فصبر على ما سببته له من أذى الا كفّر الله بها خطاياه .. وأى منا لا يحب أن تكفّر خطاياه ؟ ..

---

(١) سورة العنكبوت الآيات : ١ ـ ٣ .

الفصل الرابع
أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه

اختلفت أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه[1] وأصبحت عديدة متنوعة يقول الغزالى :

إن كان صبرا على احتمال المكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر :

١ ـ فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم (الصبر) وتضاده حالة تسمى (الجزع والهلع) وهو اطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها مما نهى عنه المصطفى ﷺ **«ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب»**[2] .

٢ ـ وان كان فى احتمال الغنى سمى (ضبط نفس) وتضاده حالة تسمى (البطر) وهى عدم القيام بموجبات النعمة بأن يكفر بها ولا يشكر وضبط النفس ترشد إليها الآية الكريمة **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾**[3] .

---

(١) أى المصبور عنه .

(٢) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب وانظر فتح البارى ج ٣ ص ١٣١ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٢٩ .

٣ ـ وان كان فى حرب ومقاتلة سمى (شجاعة) وضدها (الجبن) الذى هو الاحجام حيث ينبغى الاقدام.

٤ ـ وإن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى (عفة)[(١)] .

وفرق ابن القيم بينهما فقال : إن كان صبرا عن شهوة الفرج المحرمة سمى (عفة) وضدها (الفجور والزنا) الذى بينت سببه امرأة العزيز فى قوله تعالى ﴿**قَالَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔانَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ * وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[(٢)] والذى نهى عنه القرآن الكريم ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا**﴾[(٣)] .

٥ ـ وإن كان صبرا عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام أو تناول ما لا يجمل منه سمى (شرف نفس وشبع نفس) وسمى ضده (شرها ودناءة ووضاعة نفس)[(٤)] .. لذا روى الترمذى عن النبى ﷺ قوله «**ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**»[(٥)] .

وتفرقة ابن القيم أفضل حيث وضع لها أضدادا وإن كان تعريف

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٦٥ .
(٢) سورة يوسف الآيات ٥١ ـ ٥٣ .
(٣) سورة الاسراء الآية ٣٢ .
(٤) عدة الصابرين ص ١١ .
(٥) رواه الترمذى باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ج ٤ ص ١٨ .

الغزالى أجمل .

وقال ابن القيم أيضاً :

وان كان صبرا عن اظهار ما لا يحسن اظهاره من الكلام سمّى (كتمان سر) وضده (اذاعة وافشاء أو تهمة أو فحشاء أو سبا أو كذبا أو قذفا) وغير ذلك مما حذر منه المصطفى ﷺ **(إياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار)**[1] **(ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء)**[2]

وإن كان صبرا عن اجابة داعى الانتقام سمى (عفواً وصفحاً) وضده (انتقاما وعقوبة) .. وذلك العفو والصفح حث عليه الاسلام وذكر جزاءه فى كثير من الآيات الكريمة منها : قوله تعالى :

﴿وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾[3] وقوله تعالى **﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾** .[4]

٦ ـ وإن كان صبراً عن اجابة داعى العجلة سمى (وقارا وثباتا) وضده (طيشا وخفة) .

٧ ـ وإن كان عن اجابة داعى الامساك والبخل سمى (جوداً)

---

(١) البخارى كتاب الأدب باب قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾** وانظر فتح البارى م ٤٢٣ ج ١٠ .

(٢) الترمذى باب ما جاء فى اللعنة ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران الآيات ١٣٣ . ١٣٤ .

وضده (بخلاً وشحاً)[1] يقول ﷺ (**خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل ، وسوء الخلق**)[2] .

٨ ـ وقال الغزالى فى بيانه لأسماء الصبر : وإن كان صبرا عن فضول العيش سمى (زهداً) ويضاده (الحرص) .

٩ ـ وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمى (قناعة) يؤيد ذلك قوله ﷺ (**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**)[3] نعم ان الغنى ليس بكثرة المال ولا كثرة المتاع ولكن الغنى الحقيقى هو غنى النفس عما فى أيدى الناس .. هو رضاها بما قسم الله لها من رزق وقناعتها بذلك .. هو عدم حرصها على المال وإعراضها عن سؤال الناس أى حاجة مهما كانت وبذلك تكون نفسا عظيمة عزيزة مدركة أن وراء الغنى أو الفقر حكمة عظيمة .. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ**﴾[4] ويضاد القناعة (الشره) .

ثم قال : فاذن هذه أقسام الصبر باختلهف متعلقاتها ومن يأخذ المعانى من الاسامى يظن أن هذه الأحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامى مختلفة والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعانى أولا

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص ١١ .
(٢) الترمذى ج ٣ ص ٢٣١ وجاء فى الجامع الصغير انه صحيح ج ٢ ص ٤٠ .
(٣) البخارى كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس وانظر فتح البارى ج ١١ ص ٢٣١ .
(٤) سورة المؤمنون الآية ٥٥ .

فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامى فانها وضعت دالة على المعانى فالمعانى هى الأصول والألفاظ هى التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد أن يزل .[١]

وهذا قول نفيس وتحقيق جليل يدلنا على ارتباط كثير من مقامات الدين بالصبر فالصبر هنا يحمل فى طياته مجموعة من شعب الإيمان الحميدة وأخلاق الإسلام الفاضلة .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٦٥ ، ٦٦ .

الباب الثالث

أقسام الصّبر



الفصــل الأول

أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه



«الفصل الأول»

أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه

نعلم أن فى نفس المرء دافعين : دافعا يدفعه نحو الخير ودافعا يدفعه نحو الشر.. دافعاً ينحو به جهة الحق والآخر يأخذه للباطل.. باعثاً يجعله عادلاً وباعثاً يصيره ظالما ، باعثا فى نفسه يحركه لاتباع تعاليم دينه ، وباعثا يثيره لاتباع أهوائه وشهواته..

وهذان الباعثان لها ثلاثة أحوال كما يقول الغزالى.

الحالة الأولى :

أن ينتصر باعث الدين على داعى الهوى بحيث لا تبقى لداعى الهوى قوة للمنازعة وتكون الغلبة والفوز لداعى الدين.. وهذا يحصل بدوام الصبر.. ولا يصل إلى هذه المرتبة الا الذين كتب الله لهم النصر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، الذين لازموا الطريق المستقيم.. وهم القليل من الناس فلا ريب أن يكونوا الصديقين المقربين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا[1] والذين تناديهم الملائكة عند الموت ﴿**أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ**﴾[2]

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٦.

(٢) سورة فصّلت الآية ٣٠.

الحالة الثـانية :

ان تكون القوة والغلبة لداعى الهوى حيث يسقط داعى الدين ويستسلم لإغواء الشياطين .. وأصحاب هذه الحالة هم الغافلون وهم الأكثرون الذين أصبحوا عبيد شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم وتمكنت الشياطين من قلوبهم التى هى سر من أسرار الله فاشتروا لذلك الحياة الدنيا[1] بالآخرة ، وبين ابن القيم أن أصحاب هذه الحال أنواع شتى ، فمنهم المحارب لله ورسوله ، الساعى فى ابطال ماجاء به الرسول يصد عن سبيل الله ويبغيها جهده عوجاً وتحريفا ليصد الناس عنها .

ومنهم المعرض عما جاء به الرسول المقبل على دنياه وشهواتها فقط . ومنهم المنافق ذو الوجهين ، الذى يأكل بالكفر والاسلام . ومنهم الماجن المتلاعب الذى قطع أنفاسه بالمجون واللهو واللعب . ومنهم من اذا وعظ قال واشوقاه إلى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلا مطمع لى فيها .

ومنهم من يقول : ليس الله محتاجاً إلى صلاتى وصيامى وأنا لا أنجو بعملى والله غفور رحيم .

ومنهم من يقول ترك المعاصى استهانة بعفو الله ومغفرته .

ومنهم من يقول : ماذا تقع طاعتى فى جنب ما قد عملت . وما ينفع الغريق خلاص أصبعه وباقى بدنه غريق .[2] يقول ذلك متناسياً قوله جل وعلا ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ**

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٦ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٦ .

لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)] . إلى غير ذلك من أصناف المغترين الذين تسلطت شهواتهم على عقولهم ... فكأن الواحد منهم جعل عقله مع الشيطان دائماً وأبداً يفعل به ما يشاء كالأسير المسلم فى يد كافر يستعمله فى رعاية الخنازير وعصر الخمر وحمل الصليب .. وهم إنما صاروا إلى ما صاروا إليه نتيجة افلاسهم من الصبر .

الحالة الثـالثة :

أن تكون الغلبة والقوة تارة لداعى الدين وتارة لداعى الهوى فهى متأرجحة بينهما فاذا ضعف داعى الهوى كان النصر والغلبة لداعى الدين والعكس بالعكس .. وأصحاب هذه الحالة طائفة ضعفت غريزتهم الدينية فلم تؤد وظيفتها كاملة .. وهى حال أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم .

وذكر الغزالى أن قوله تعالى **﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً ...﴾**[(٢)] نزل على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض ــ وهذا ما فسر به ابن كثير الآية ــ[(٣)] وقال أيضاً : والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .
(٢) سورة التوبة الآية ١٠٢ .
(٣) ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٥ قال : هذه الآية وإن كانت نزلت فى أناس معينين إلا أنها عامة فى كل المذنبين الخاطئين المتلوثين .

تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقاً المدبر يقيناً ولذلك قيل :

ولم أر فى عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام[1]

فكأنه يحث على مجاهدة الشهوات ويغرس فى النفوس حب الأعمال الصالحة بقدر الإمكان عسى الله أن يعفو عما سلف .

وهذه الأحوال الثلاث هى أحوال الناس فى الصحة والمرض فمن الناس من تقاوم صحته الداء فتقهره ومنهم من تتهاوى وتضعف قوته أمام المرض ويكون للمرض عليه سلطان ومنهم من تتناوبه الصحة والمرض .

وربما كان هذا التقسيم للصبر موازياً للحال يوم القيامة سواء بسواء فمن الناس من يدخل الجنة ولا يدخل النار ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة والله أعلم .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٦٧ .

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- □ الصبر الواجب .
- □ الصبر المندوب .
- □ الصبر المباح .
- □ الصبر المكروه .
- □ الصبر المحظور .



أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

ذكر الامام ابن القيم فى المدارج أن الصبر واجب باجماع الأئمة[1] وهذا صحيح فى الجملة لكنه بالتفصيل وبتعلق الأحكام الخمسة به ينقسم إلى صبر واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحظور :

الصبر الواجب :

وهو ثلاثة أنواع :

- ☐ صبر على الطاعة وأداء الواجبات .
- ☐ صبر عن المعصية وعن المحرمات .
- ☐ صبر على النوازل والمصائب المقدرات .

وسيأتى فصل يتناول هذه الأنواع بالتفصيل إن شاء الله .

الصبر المندوب :

وهو ثلاثة أنواع أيضاً صبر عن مقابلة الاساءة بمثلها وصبر على المستحبات وصبر عن المكروهات .

ومثال الصبر عن مقابلة السيئة بمثلها قوله تعالى **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾**[1]

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٥٢ .

وأيضاً قوله تعالى ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1] .. فالنفس الانسانية لا تحب أن تهضم حقوقها أو أن تظلم خاصة وأن التشريع الربانى أباح لها الانتصار فى الظلم وأجاز لها مقابلة السيئة بالسيئة والعقاب بالعقاب بشرط دون زيادة أو ظلم سواء فى الكم أو الكيف فلا يحق للمرء أن يرد الصاع صاعين أو اللطمة لطمتين بل المطلوب من المسلم والأجدر فعله أن يكظم غيظه ويصبر على الأذى ويستر السيئة ويعفو عن صاحبها ليكون أجره على الله ولينال الثواب الجزيل والثناء الجميل على أفعاله الحميدة كما ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره .[2]

ومثال الصبر على المستحبات : أن ينوى المرء قيام الليل واحياءه فى صلاة ودعاء وذكر وتسبيح وتهليل فقد يجد صعوبة فى بداية الأمر نتيجة هجره لذيذ المنام وحلاوة الأحلام فعليه أن يصبر ويتحمل ذلك حتى يألف القيام ويتعوده .. وقد يتعود المسلم القيام ولكنه ما يلبث أن يوسوس له الشيطان ويحثه على الترك ويحبب له النوم فعليه هنا أن يجاهده ويدفع باعث الهوى عنه بشتى الطرق كى يثبت على ما نواه من طاعة وصبره هنا مندوب مستحب يثاب عليه لأنه مما طلب فعله شرعاً من غير ذم على تركه مطلقاً .

ومثاله أيضاً الصبر على ما يجده المرء فيما نوى صيامه تطوعاً

---

(١) سورة الشورى الآيات ٤١ ـ ٤٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٩

كصوم يومى الاثنين والخميس وصوم يوم عاشوراء المرغب فى صيامه حيث جاء فى النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**)[1] .. والصيام كما نعلم عبادة من أفضل القربات لله شرعه الله ليهذب النفوس وليعودها على فعل الخيرات .. فاذا فعله المرء تطوعاً ورغبة فى استزادة الثواب وفى تلمس التقوى فعليه أن يتحمل ويصبر على ما يلاقيه من مشقة أو تعب أو تثبيط عزم عن اكمال صيامه وان كان الشرع قد خيره بين الفعل والترك ففى تركه اباحة وفى فعله واكمال صومه استحباب وثواب .

ومثال الصبر على المكروهات : الصبر عن أكل الثوم والبصل عند الذهاب إلى المساجد لمن تعود أكلها واستطابهما ففى صحيح مسلم عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال (**من أكل من هذه البقلة الثوم ـ وقال مرة ـ من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**)[2]

فنهيه ﷺ هنا عن دخول كل مسجد ـ وهو مذهب العلماء والجمهور ـ وليس عن أكل الثوم والبصل فهذه البقول حلال باجماع من يعتد به وحجة الجمهور فى ذلك قوله ﷺ فى أحاديث أخرى (**يا أيها الناس انه ليس لى تحريم ما أحل الله لى ولكنها شجرة**

---

(١) النسائى كتاب قيام الليل باب فضل صلاة الليل ج ٣ ص ٢٠٦ .
(٢) مسلم ج ٥ ص ٥٠ كتاب المساجد باب نهى آكل البصل عن دخول المساجد .

أكره ريحها)[1] وقوله لمن قرب له طعاما فيه من تلك البقول الشيء الكثير **(كل فإنى أناجى من لا تناجى)**[2] وغير ذلك من الأحاديث .. وعليه يكون نهى آكل البصل والثوم عن دخول المساجد مكروهاً ، فاذا ما صبر المرء عنهما مع رغبة فيهما امتثالا لنهيه ﷺ اعتبر صبره ذاك مندوباً .

الصبر المباح :

وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه . والصبر عليه .. ومن أمثلته الرغبة فى القيام بنزهة أو الصبر عنها أو الرغبة فى تناول نوع معين من الأطعمة أو الصبر عنها فالنفس دائمة الشهوة وتحب أن تطاع وتلبى رغباتها ـ بشرط الا يقصد بها تحريم ما أحل الله والا كان آثماً ـ فمثلاً لا مانع من التفكير فى تناول تفاحة فاذا ما تناولها المرء أو صرف النظر عن تناولها فالأمر سيان ، فكأن الصبر المباح نوع من الالتزام يحاول به المرء أن يروض نفسه ويسوسها على أساس عدم تلبية حاجاتها جميعاً وباستمرار .

الصبر المكروه :

وله عدة أمثلة توضحه .

أحـدها :

أن يصبر عن التوسع فى الطعام والشراب واللباس ومعاشرة أهله حتى يتضرر بذلك بدنه .. وهذا عكس ما ذكره المولى عز وجل فى

(١ ، ٢) صحيح مسلم كتاب المساجد باب نهى آكل البصل عن دخول المسجد ص ٥٠ ، ٥١ ج ٥ .

قوله تعالى ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[1]

الثـانى :

صبره عن معاشرة زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به لأن فى ذلك الحاق الضرر بالزوجة ولأنه يمتنع عن حق من حقوقها الزوجية بينما الاسلام يحثه على مراعاتها واحسان عشرتها وكرم مخالطتها واعطائها حقوقها كاملة ..

يقول تعالى ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾[2] وذلك ليستقيم نظام الأسرة ويصلح أمره ويدوم الارتباط الزوجى المقدس .

الثالث :

صبره على المكروه كرؤيته للمفرقع أصابعه فى الصلاة وسكوته عنه وعدم نهيه عن ذلك مع علمه بكون فرقعة الأصابع من مكروهات الصلاة[3] لقوله ﷺ (**لا تفقع أصابعك فى الصلاة**)[4]

الرابـع :

صبره عن فعل المستحب كأن يتعود المرء اعطاء أحد المحتاجين شيئا بسيطا من المال أو غيره كل أسبوع أو كل شهر .. وفجأة يقطع عنه ذلك بدون عذر أو ضرورة ملحة فانقطاعه عن عطائه ذاك مكروها ، أو كأن يكون مداوماً على تأدية صلاة الضحى وفجأة

٦٠١

---

(١) البقرة (١٩٥) ذكر ابن كثير انها نزلت فى النفقة وهى تقتضى ما سبق ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء الآية ١٩ .

(٣) الروض المربع ص ٦٨ .

(٤) ابن ماجة كتاب الصلاة باب ما يكره فى الصلاة ج ١ ص ٣١٠ .

ينقطع عنها فلا يؤديها بدون مبرر أو عذر متغافلا عن قوله ﷺ **(أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل)**[1] .

الصبر المحظور :

ويقول فيه ابن القيم : وأما الصبر المحظور فأنواع : أحدها الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت بمعنى أن يمسك عن الطعام والشراب نفسه حتى تهلك سواء كان الحصول عليه متيسرا أو يحتاج إلى بذل قليل من المجهود .

وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام إذا خاف بتركه الموت[2] .. فهذه المحرمات إنما أباحها المولى عز وجل عند الاحتياج والاضطرار إليها .. والاضطرار لا يخلو أن يكون بإكراه من ظالم أو بجوع فى مخمصة والذى عليه الجمهور من الفقهاء والعلماء فى معنى الآية هو من يصيّره العدم والغرث وهو الجوع إلى ذلك وهو الصحيح[3] . فاذا ما صبر عن أكل الميتة عند المخمصة مع خوفه الشديد على نفسه من الهلاك اعتبر صبره ذاك محرماً . وروى ابن كثير عن مسروق انه قال : من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار .[4]

ومن الصبر المحظور صبر الانسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله[5] وعدم محاولته النجاة

---

(١) مسلم كتاب المسافرين باب فضيلة العمل الدائم ج ٦ ص ٧٢ .
(٢) عدة الصابرين ص ٢٢ .
(٣) القرطبى ج ١ ص ٦٠٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٠٦ .
(٥) عدة الصابرين ص ٢٢ .

وابعاد الأذى عن نفسه .

وكتب صاحب قوت القلوب هذه العبارات «ان الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام فما كان أمرا أو ايجاباً فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حقاً وندباً فالصبر عليه أو عنه فضل[1] ولكن الامام الغزالى فصل ذلك فقال :

إعلم أن الصبر ينقسم ـ باعتبار حكمه ـ إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكناً وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع . فليكن الشرع محك الصبر . فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغى أن يخيل إليك أن جميعه محمود ، بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة .[2]

ويقول ابن القيم :

وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام ، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام ، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه ، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر عن المباح مباح[3] والله أعلم .

---

(١) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٧ .

(٣) عدة الصابرين ص ٢٣ .



الفصل الثالث

أقسام الصبر باعتبار محله

- □ البدنى الاختيارى .
- □ البدنى الاضطرارى .
- □ النفسانى الاختيارى .
- □ النفسانى الاضطرارى .

أقسام الصبر باعتبار محله

الصبر ضربان : ضرب بدنى ، وضرب نفسانى .

وكل منهما نوعان : اختيارى ، واضطرارى .. فهذه أربعة أقسام : [1]

الأول : البدنى الاختيارى :

كتعاطى الأعمال الشاقة على البدن اختيارا وارادة فمن اختار عملا اداريا ليس كمن اختار مهنة صعبة كالحدادة والنجارة والبناء .. فالأجير العامل مثلاً يجد من المشقات ما لا يجده أى موظف ادارى من حمل للأثقال وتعرض لحرارة الشمس ، وخطر يعرض حياته للهلاك بالاضافة إلى قلة دخله إذا ما قورن براتب الموظف ، ورغم ذلك نراه يمارس عمله بصبر اختيارى وبقدر جهده البدنى .

الثانى : البدنى الاضطرارى :

كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك .. مما كان يتحمله كثير من المسلمين ـ فى صدر الاسلام ـ ويجدون آلامه صاغرين .. فبلال مثلاً كان يطرح على ظهره فى

---

(١) عدة الصابرين الصابرين لابن القيم ص ١٣ .

بطحاء مكة الملتهبة إذا حميت الظهيرة واشتدت حرارة الشمس ومن ثم يؤمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وهو لا يزيد على قوله : أَحَدٌ .. أَحَد .[1]

وعمار بن ياسر الذى تفنن المشركون فى ايذائه وضربه وتعذيبه مِنْ كَيٍّ بالنار إلى صلبه على الرمضاء الحارة إلى اغراقه بالماء حتى تخنق أنفاسه وتتسلخ قروحه وجروحه .. ومع ذلك كان صابرا ومضطرا لتحمل ذلك التعذيب الجسدى فى سبيل ثباته على عقيدته وايمانه .. ولأن السلطان والقوة والغلبة كانت يومئذ لأنصار الضلال والشرك .

وتلك المرأة التى كانت تصرع[2] زمن النبى ﷺ فعن عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : (**ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ قالت : إنى أصرع وإنى أتكشف**[2] فادع الله لى قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر فقالت أنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها»[3] .

ولا يخفى أن المرء ــ بصفة عامة ــ قد يتعرض لمرض مزمن ــ والعياذ بالله ــ أو ما ينتج عن حوادث الحريق أو الهدم أو اصطدام

---

(١) قصة بلال مؤذن الرسول لعبد الحميد جودة السحار ص ٢٩ .

(٢) الصرع : علة تمنع الأعضاء النفسية من أفعالها منعاً غير تام وسببه سدة تعرض فى بعض بطون الدماغ وفى مجارى الأعصاب المحركة للأعضاء من خلط غليظ أو لزج كثير فتمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكاً طبيعياً فتتشنج الأعضاء .
القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٩ .

(٣) صحيح البخارى كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح ، وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩٩ ، ومسند أحمد ج ١٠ ص ٣٤٧ .

السيارات كفقد عضو من أعضائه أو حدوث كسر فيها أو اصابته بتشويه خلقي ... فاذا تحلى ذلك الشخص بالصبر على ما يجده من آلام جسدية فانه سينال به درجة عالية من الثواب المعد للصابرين باذن الله .

الثالث : النفساني الاختياري :

كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً كالتفكير في سرقة ما وهبه الله لبعض الناس أو ما جمعه الغير وتحصل عليه بكد وتعب وصرف النظر عن ذلك .. فمن الناحية العقلية الانسانية تعتبر السرقة عملاً فظيعاً لما فيه من اقتطاع ما في حوزة الغير من متاع أو مال أو غيره بغير حق ، ومن الناحية الشرعية تعتبر السرقة من الجرائم التي تستحق اقامة الحد بقطع اليد إذا تحققت السرقة بتعريفها الشرعي .. ويقاس على ذلك التفكير في شرب الخمر والتفكير في الزنا والعدول عنه وحبس النفس عن تحقيقه ... وغير ذلك مما تأمر به النفس الأمارة بالسوء من أمور لا يرضاها الشرع ولا يستسيغها العقل .

الرابع : النفساني الاضطراري :

كصبر النفس عن محبوبها قهرا إذا حيل بينها وبينه بالموت مثلاً الذي هو حق على كل انسان ، أو بثبوت جميع الأدلة ضد شخص بريء يؤخذ فيحبس ويحال بينه وبين والدته مثلاً والذي هو بالنسبة لها جميع أهلها وذويها عدا كونه العائل لها الراعي لشئونها ، أو باسلام المرء الذي يترك أمه وزوجته وأولاده وأمواله ويصبر على

فراقهم كما حدث لصهيب بن سنان حينما أراد الهجرة مع الرسول ﷺ فأخره عنه وقوعه فى بعض فخاخ المشركين ولما تخلص منها وانطلق يريد اللحاق به أدركته طائفه من رجال قريش واعترضت طريقه فدلهم على المكان الذى خبأ فيه جميع ثروته فتركوه وشأنه .

أجل .. لقد اشترى صهيب نفسه المؤمنة بكل ثروته التى أنفق كل شبابه فى جمعها .. واستطاع أن يصبر عن محبوب الانسان بصفة عامة ألا وهو المال .

وما المال ؟ وما الذهب ؟ وما الدنيا ؟ إذا بقى له ايمانه وإذا بقيت لضميره سيادته ولمصيره ارادته ؟ .[1]

وكما حدث لنوح عليه السلام حيث صبر على فراق ابنه ـ الذى هلك بالغرق مع الكافرين ـ حينما عاتبه المولى عز وجل **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[2] وما كان من نوح عليه السلام الا أن ندم على ما صدر منه ـ من جزع على فراق ابنه واعترف بذنبه .[3]

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4]

وذكر ابن القيم أن هذه الأقسام من الصبر مختصة بنوع الانسان دون البهائم ومشاركة للبهائم فى نوعين منها وهما صبر البدن والنفس

---

(١) رجال حول الرسول ـ خالد محمد خالد ص ١٦٧ .
(٢) سورة هود آية ٤٦ .
(٣) مع الأنبياء ـ لعفيف طبارة ص ٧١ .
(٤) سورة هود آية ٤٧ .

الاضطراريين وقد يكون بعضها أقوى صبرا من الانسان ، وانما يتميز الانسان عنها بالنوعين الاختياريين ، وكثير من الناس تكون قوة صبره فى النوع الذى يشارك فيه البهائم لا فى النوع الذى يخص الانسان فيعد صابرا وليس من الصابرين ..

وذكر ابن القيم مشاركة الجن للانس فى هذا الصبر وقال هذا من لوازم التكليف وهو مظنة الأمر والنهى ، والجن مكلفون بالصبر على الأوامر والصبر عن النواهى كما كلفنا نحن بذلك[1] ويؤيده قوله تعالى ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾[2] فقد جاء فى تفسير هذه الآية قولان : أحدهما وان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ـ والاستمرار يعنى الصبر عليها والاقتناع بها ـ لأوسعنا عليهم فى الرزق .. وهذا الذى رجحه ابن كثير[3] ويوافقنا فى هذا الموضع .

وكانت لابن القيم وجهة نظر مقبولة بالنسبة لصبر الملائكة حيث قال : الملائكة لم يبتلوا بهوى يحارب عقولهم ومعارفهم بل العبادة والطاعة لهم كالنفس لنا فلا يتصور فى حقهم الصبر الذى حقيقته : ثبات باعث الدين والعقل فى مقابلة باعث الشهوة والهوى ، وان كان لهم صبر يليق بهم وهو ثباتهم واقامتهم على ما خلقوا له من غير منازعة هوى أو شهوة أو طبع .[4]

---

(١) عدة الصابرين ص ١٤ .
(٢) سورة الجن آية ١٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣١ .
(٤) عدة الصابرين ص ١٤ .

وعقب بقوله : فالانسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين وان غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم .

البَابُ الرابعْ

أنواع الصّـــبر

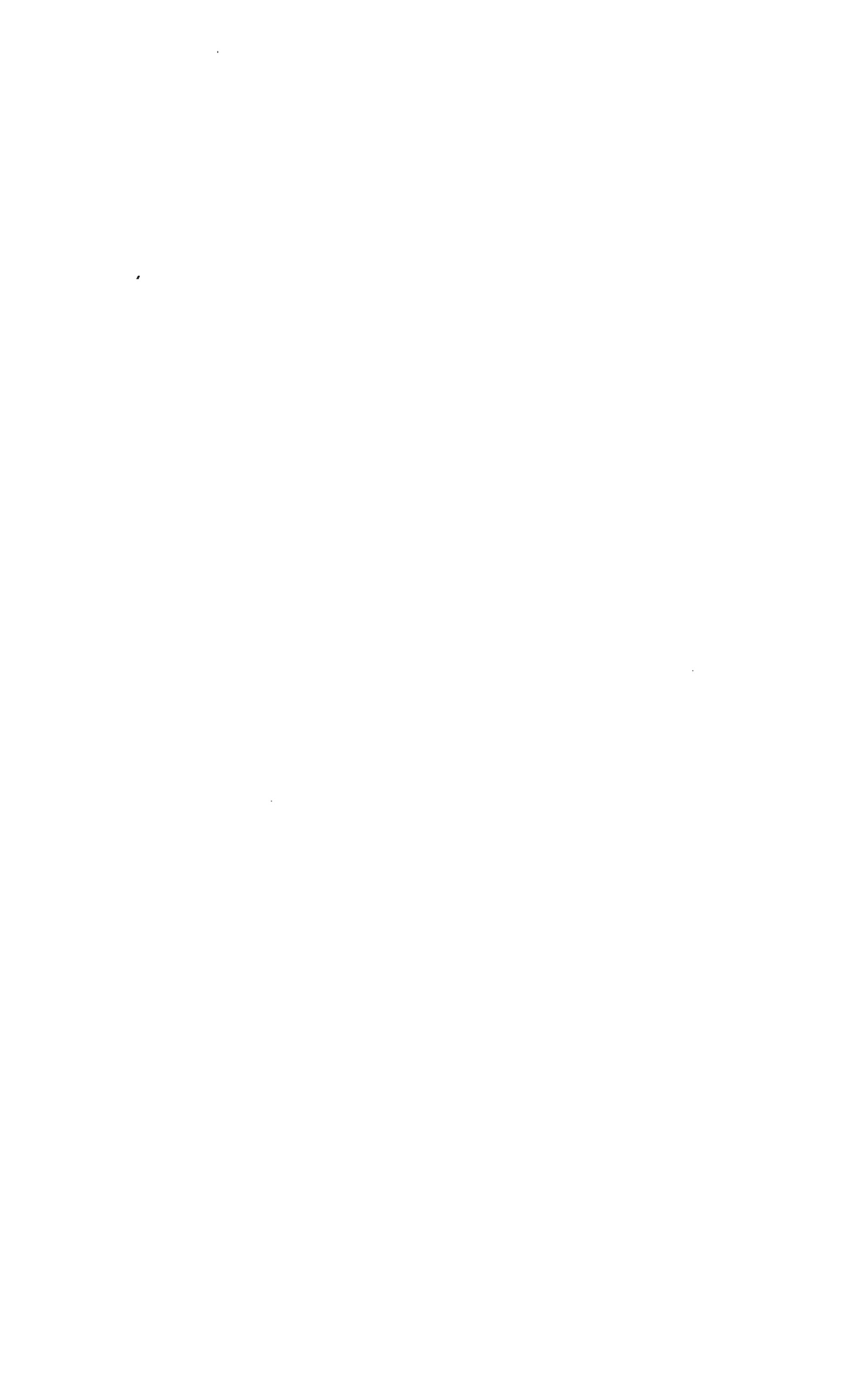
- □ الفصل الأول : أنواع الصبر.
- □ الفصل الثـانى : الأسباب التى تعين على الصبر.
- □ الفصل الثالث : الأمور المضادة للصبر.
- □ الفصل الرابـع :تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر.



الفصْل الأول

أنواع الصــــبر

- ☐ الصــبر على الطاعات وأداء الواجبات .
- ☐ الصــبر على المعاصى .
- ☐ الصــبر على المصائب والبليات .



أنواع الصبر

سبق فى أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هى :

١ ـ صبر على الطاعات وأداء الواجبات .

٢ ـ صبر عن المعاصى والمحرمات .

٣ ـ صبر على المصائب والبليات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكر شأنها الا إذا أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك الايمان فلكى تثبت درجته فى نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته من ابتلاء ـ بأوامر ونواه واقدار ـ يكشف عن حقيقة تلك الصلة ، ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الادراك أن الغاية التى خلق لها الخلق وثبت بها أمر الدين هى : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه واخلاص العمل له والرضا به واتباع أوامره جميعها والانتهاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر فى أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج فى القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

مثلاً كما نعلم عماد الدين وأنها الصلة المباشرة بين الانسان الفانى والقوة الباقية الخالدة ، وأنها العبادة التى لها منزلة فى الاسلام لا تَعْدِلْها فى منزلتها أية عبادة أخرى .. ولأنها العبادة المتكررة الغير المرتبطة بوقت معين ـ من العام قرنت بالصبر ـ وان كان الصبر مطلوباً فى العبادات الأخرى ـ فى قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[1] فالمولى عز وجل يعلم الجهد الضخم الذى تتطلبه الاستقامة على الطريق الصحيح .. لذا اوجه الأمة الاسلامية إلى الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف الدور العظيم الملقى على عاتقهم والذى أوله عرفة الله وتوحيده وطاعته .. ذلك الذى يحتاج أول ما يحتاج إلى الصبر .. إذ لا بد من الصبر على الطاعات ككل وخاصة الصلاة تنويهاً بشأنها ، وجاء فى معنى الآية : عليكم أن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع .. واستحضار العلم بأنه انتصب بين يدى جبار السموات والأرض ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه .[2]

فيا أيها الذين آمنوا بالله وبرسله واستعدوا لطاعته ولتلقى أوامره عليكم أن تستعينوا بالصبر .. ذاك الزاد الذى لا بد منه لمواجهة جميع المشاق خاصة تلك التى يجدها فى عبادته لربه وبالأخص فى

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ٢٧٧ .

تأدية الصلاة[١] ومتى ما امتثلتم الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة فهناك قاعدة ثابتة يجب أن تعلموها تلك هى (ان الله مع الصابرين) معهم يؤيدهم ويثبتهم ويقويهم ويؤنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم ولا يتركهم لطاقاتهم المحدودة .. وقوتهم الضعيفة .. انما يمدهم حين ينفذ زادهم ويجدد عزيمتهم حين تطول بهم الطريق لا سيما طريق الطاعة .[٢]

ويقول جل شأنه ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ﴾[٣] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ * وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤]

فالاستعانة بالصبر تتكرر كثيراً لأنه زاد لا بد منه فى أمور كثيرة واقترانه بالصلاة فى غير موضع فيه حث على تأديتها على أكمل وجه بقدر المستطاع ، أما الاستعانة بالصلاة فلأن فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته إلى رفض الدنيا وهجر نعيمها ، المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكرة الآخرة وما أعد الله فيها لأهلها فنى الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجد فيها والصلاة لأنها ذلك الينبوع الدافق الذى يستمد منه المؤمن راحة نفسه ويوثق الصلة بينه وبين ربه .. ولأنها أحب الأعمال إلى الله وأفضلها ـ كما بين المصطفى ﷺ

---

(١) ابن كثير ج ١ ص ٨٧ .
(٢) ظلال القرآن ج ١ ص ١٩٨ .
(٣) سورة البقرة الآية ٤٥ .
(٤) سورة هود الآيات ١١٤ ـ ١١٥ .

حينما سئل عن أحب الأعمال إلى الله قال «**الصلاة على وقتها**»[1] ـ يراها الخاشعون ـ الخاضعون لطاعة الله الخائفون سطواته المصدقون بوعده ووعيده ـ كبيرة وشديدة وثقيلة ويعرفون منزلتها من الاسلام لتكرار الأمر بتأديتها واعداد الثواب العظيم لها إذا كانت جماعة ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾[2] وطلب المحافظة عليها والصبر على ما يجده المسلم فى سبيل فعلها .. ويقول تعالى ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**﴾[3] أى أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستنقذهم من عذاب الله بالصلاة والصبر عليها وملازمتها ..[4]

واقامة الصلاة كاملة ومحاولة تحقيق آثارها والحكمة منها من كونها تبعد عن الرذائل وتطهر المرء من سوء القول والعمل .. من كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر .. كل ذلك يحتاج إلى اصطبار على ما يجده من مشقة فى اقامتها فى أوقات معينة أو على ما يجده من مشقة فى أمر أهله بتأديتها أو فيما يشعر به من ضيق أو تعب أو حرج فى انتظار صلاة الجماعة مثلاً فقد يكون مريضاً أو مشغولاً بأمر مهم أو ما شابه ذلك لكنه يحاول بقدر الامكان أن يتغلب على شعوره ذاك ويصبر كى ينال محو الذنوب وتكفير الخطايا ورفع الدرجات كما قال

---

(١) رواه مسلم كتاب الايمان باب أفضل الأعمال ج ٢ ص ٧٤ ، الترمذى ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٣ .

(٣) سورة طه الآية ١٣٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٧١ .

ﷺ **(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط)** .[1]

وبتأملنا لقوله تعالى (واصطبر عليها) نجد أن الصيغة هنا صيغة افتعال من الصبر مكان الصيغة المعتادة (اصبر) وصيغة الافتعال إنما تدل على المبالغة فى الفعل ونحن نعلم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. وهو جل وعلا ما قال (واصطبر) الا وهو يعلم أن الطريق إلى طاعة الله مليئة بمشاغل دنيوية سواء من داخل النفس أو من خارجها لذا عقب سبحانه وتعالى ﴿**لا نسألك رزقا**﴾ أى لا نسألك مالا بل نكلفك عملاً ببدنك نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلا ، ﴿**نحن نرزقك**﴾ فنعطيك المال ونكسبك ولا نسألك والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا .[2]

وامتثل ﷺ أمر ربه فكان بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت (فاطمة وعلى) رضى الله عنهما فيقول (الصلاة) كما كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة[3] ومن ثم فالصبر لا يرتبط بتأدية الصلاة فقط بل يلتصق أيضاً بطريق غير مباشر بالزكاة وبالصدقة والجود والكرم .. والاسلام حبب إلى

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب الطهارة باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره ج ٣ ص ١٤١ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ج ١٦ ص ١٧٠ .
(٣) القرطبى ج ٥ ص ٤٣٠٣ .

معتنقيه أن تكون نفوسهم كريمة وأكفهم سخية وحثهم على المسارعة إلى الاحسان ووجوه الخير وأثنى على المنفقين فى سبيل الله ﴿**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (١)

وبين الاسلام أيضاً أن التعاون والمواساة لا بد منها ليواسى الغنى الفقير ويعين القوى الضعيف ووضح أن المولى عز وجل جعل اختلاط الناس ببعضهم البعض رغم اختلاف أحوالهم .. جعله امتحانا يختبر به الايمان ويعطى به الثواب ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً**﴾ (٢)

فعلى المسلم أن يقتصد فى تلبية حاجات نفسه وأن يخصص جزءا من ماله يساعد به المحتاجين أو يسعف به المكروبين وأن يتقى الشح ويرتفع عن حبه للمال وحرصه على اقتنائه ويحاول بشتى الطرق أن يصبر عن اجابة دافع البخل فى نفسه حتى يعودها الكرم والجود كى يكون من المفلحين ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ (٣)

والانسان كما نعلم مجبول على حب المال لكنه لا بد وأن يمتثل الأمر باعطاء الزكاة طائعاً ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (٤) فلا بد من أن تطهر النفوس من دنس البخل والطمع

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٤ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٢٠ .
(٣) سورة التغابن الآية ١٦ .
(٤) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

والدناءة والقسوة على الفقراء وعلى البائسين ، كما ينبغى أن نزكيها أى نرفع من درجاتها بعمل الخيرات والاكثار من الصدقات على مختلف اصنافها من زكاة أو هبة أو نفقة فهى لها شأنها فى حياة الانسان أو بعد مماته يقول ﷺ **(ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزاً)** (١)

فقد يظن البعض أن الصدقات تنقص المال وتقرب الانسان من الفقر فيعيش فى قلق رغم وجود الشىء الكثير من المال وهذا الظن إنما هو من وساوس الشيطان التى يلقيها فى نفوس ضعاف الايمان ولكن **﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** (٢)

ومن ثم فالاسلام يوصى بأن يكرم المرء نفسه ثم أهل بيته ثم ذوى رحمه ثم سائر الناس يقول ﷺ **(دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على أهلك أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك)** (٣)

كما يقول ﷺ **(ان المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة)** . (٤)

ويقول بعض العلماء : والاسلام بهذا الارشاد الدقيق يريد أن

---

(١) رواه الترمذى باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ج ٣ ص ٣٨٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٨ .
(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٦ .
(٤) رواه مسلم كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد ج ٧ ص ٨٨ .

يرتب النفقات المشروعة الترتيب المثمر الصالح فان الاسرة قوام المجتمع الكبير والخلية الحية التى تكون بناءه الضخم فتوجيه العناية إليها أجدى على الأمة كلها من حرمانها وتحويل حقوقها عنها .. ثم أن فى هذا الارشاد زجراً لطائفة من الناس يجنحون إلى السرف خارج بيوتهم وبين أصدقائهم أو الغرباء عنهم فاذا دخلوا إلى أهلهم كانوا أمثلة سيئة للتقتير والعسف .(١)

فينبغى للمسلم تدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليدرك ما للزكاة .. وللعطاء والجود .. والصبر على ذلك كله من أثر فى الغفران وفى تكفير الذنوب وفى نيل رحمة الله وكرمه وبالتالى يجود بماله عن طيب نفس ورضا امتثالا لطاعة الله وادراكاً وفهما لما للزكاة من مكانة فى الاسلام حيث أنها قرنت بالصلاة ـ التى هى عماد الدين ـ وتكرر ذكرهما أكثر بكثير من غيرهما من العبادات من صوم أو حج أو غيره .

وبالنسبة للصوم فعلاقته بالصبر علاقة وطيدة حيث أنه يعود الصبر ويعلم ضبط النفس ويوجد فيها ملكة التقوى ويربيها ومن ثم كان حكم الصوم تربية ملكة التقوى فى النفس .. يقول تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢) .

أى لعلكم تتقون الله بالمحافظة على تلك العبادة وتعظيمها

---

(١) خلق المسلم لمحمد الغزالى ص ١٢٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصى[1] .. ويصان المجتمع من الشرور والمفاسد .. أكد ذلك المصطفى ﷺ لمن لا يستطيع أن يعف نفسه بالزواج (فعليه بالصوم فانه له وجاء)[2]

والصيام كما يعود الصبر والأناة يعود النظام والاتحاد حيث الأمة الاسلامية فى جميع بلدان العالم تمسك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وتفطر فى وقت واحد من غروب الشمس إلى طلوع الفجر **﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾**[3] . وبذلك يعرف أن الغنى والفقير والقوى والضعيف والعظيم والحقير .. سواء لا يفضل أحدهم على الآخر الا بالتقوى .. ومن ثم فضبط النفس وحصرها لتصبر كى تؤدى عبادة عظيمة كالصوم ـ يدخل تحتها تعويد النظام وحب المساواة وتكوين عاطفة الرحمة والشفقة والاحسان إلى الغير ـ هو شىء كبير يثاب عليه المسلم ثوابا عظيما لا يدرك كنهه أو عظمته أو مقداره **(كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به)**[4] **(من صام رمضان وقامه ايماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)**[5] وفى هذا أكبر حافز للصبر على تأدية هذا الركن العظيم .

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٣٣٤ .

(٢) رواه البخارى كتاب الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة ، وانظر فتح البارى ج ٤ ص ١٠١ .

(٣) سورة البقرة ١٨٧ .

(٤) رواه مسلم كتاب الصوم فضل الصيام ج ٨ ص ٣١ .

(٥) رواه البخارى كتاب الايمان باب قيام ليلة القدر من الايمان وانظر فتح البارى ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وررواه الترمذى ج ٢ ص ٩٦ وقال حديثاً صحيح .

والحج الذى هو أحد أركان الاسلام الخمسة فرضه المولى عز وجل على كل مسلم ومسلمة استطاع إليه سبيلا ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1] هذا الفرض الذى فيه قصد مكة المكرمة حيث المسجد الحرام لأداء مناسك الحج يتطلب صبراً وجهداً وتحملاً من حيث مفارقته أهله ومسكنه وحرفته ووطنه ومن حيث مشاق السفر التى يجدها الحاج القاطن خارج مكة .. فوسائل المواصلات وان تطورت إلى الأحسن والأسرع والأريح الا أن المرء مايزال يجد فى الوصول إليها مشقة من انتظار ممل ـ فى المطار أو الميناء قد يدوم سبع ساعات أو أكثر ـ أو مراجعة متعبة للحجز مما يسبب للمرء ضيقاً أو تعباً أو ما شابه ذلك وصدق المولى عز وجل إذ يقول ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[2]

وباعتبار الوقوف بعرفة ركن مهم أساسى فى الحج وعرفة كما نعلم أرض صحراء فلا مفر للحاج من السكون تحت خيمة لم يألف الجلوس فيها ـ وطبعاً لا يخفى علينا ما للدور الحديثة من توفير سبل الراحة والاطمئنان للانسان ـ حيث يجد نفسه مع أناس لا يعرفهم ولكنه يعرف أنهم يلبسون ما يلبس ويقصدون المولى عز وجل كما يقصده بالدعاء والتلبية والاستغفار .. ومن ثم تواجده وسط

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
(٢) سورة النحل آية ٧ .

مجموعة كبيرة من البشر تتحرك نحو مكان واحد من عرفة إلى مزدلفة ـ حيث يبيت فيها أو يقضى معظم الليل فيها وإن لم ينم ـ يتطلب صبرا وتحملا وسكينة .. ناهيك عن وجوده وسط الزحام الشديد المتجه لرمى الجمرات ومن ثم قضاء ثلاثة أيام بمنى ربما يبحث فيها عن طعام معين فلا يجده لكثرة الزحام أو لعدم معرفته بمكانه فلا بد له هنا أن يصبر على أى طعام يجده أو شراب أو مكان يأوى إليه وإن لم يكن مريحا .

وكذلك تتمة مناسك الحج من طواف وسعى ومحاولة تأدية جميع المناسك تتطلب صبراً ومجاهدة للنفس والهوى .. وتلمساً للتقوى وامتثالاً لقوله عز وجل **﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾** (١) وأيضاً رجاء الحصول على الثواب المعد للحج المبرور من تكفير الذنوب ومحوها لقوله ﷺ **(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)** (٢) وفى رواية الترمذى **(من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه)** (٣)

وقوله ﷺ **(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة)** . (٤)

والمقصود بالحج المبرور هنا الذى لم يخالطه إثم ولم يرتكب فيه

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٢) رواه البخارى كتاب الحج باب فضل الحج المبرور ، انظر فتح البارى ج ٣ ص ٣٠٣ ومسلم كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة ج ٩ ص ١١٩ .

(٣) رواه الترمذى فى باب ما جاء فى ثواب الحج والعمرة ج ٢ ص ١٥٣ .

(٤) رواه مسلم كتاب الحج باب الحج والعمرة ج ٩ ص ١١٧ .

محظور أو معصية أو تعد على أحد بشتم أو ضرب أو إلحاق الظلم به .. ومع علمنا أن للحج المبرور منزلة عالية ومكانة كبيرة عند المولى عز وجل المطلع على مدى تحمل عباده لتأدية هذا الركن العظيم وصبرهم على ما فيه من طاعات أو بعد عن المعصيات .

ومن الأمور الهامة المتطلبة للصبر الجهاد فى سبيل الله فالمولى عز وجل حث على الجهاد وحبب إليه وأمر بالثبات عند لقاء العدو فقال **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (١)

ولأنه جل شأنه يعلم أن للايمان الصادق الحق وللروح المعنوية القوية أثراً بالغاً عظيماً فى صدق الدفاع وفى النصر .. جعل المؤمن الصابر الصادق الايمان يساوى عشرة رجال فى المعركة ، ذكر ذلك فى قوله تعالى **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُم مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾** (٢)

ولكن مثل هذا المؤمن الصابر المقاتل نادر الوجود لذا جعل المؤمن الواحد يساوى اثنين من الكفار أو الأعداء حيث جاء فى الآية السادسة والستين من سورة الأنفال : **﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾**

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٥ .

ونحن إذا تأملنا آيات الجهاد والأحاديث الواردة فى فضل الجهاد وجدنا ارتباطها بالصبر ارتباطاً وثيقاً .. فعند فرضية هذه العبادة نرى المولى عز وجل يقول ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (١)

بمعنى فرض(٢) عليكم وترون فيه مشقة وشدة فان المجاهد أما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء ولكن الجهاد فيه خير لكم فاذا أديتموه وصبرتم على تأديته كانت عاقبته النصر والظفر على الأعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم أما إذا أحببتم القعود عن القتال فذلك ليس من مصلحتكم والله حينما فرضه عليكم ـ أى الجهاد ـ فرضه وهو عالم بما فيه صلاحكم فى دنياكم وأُخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لعلكم ترشدون .(٣) ولذا قال ﷺ **(من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)** (٤)

والجهاد الحقيقى كما نعرف هو ما قصد به وجه الله وأريد به اعلاء كلمة الله .. أما من جاهد وقاتل ليحصل على منصب أو ليظفر بغنيمة أو ليتباهى بشجاعة يرائى بها الناس فانه لا حصة له فى الأجر ولا نصيب له فى الثواب وبالتالى لم يكن من المجاهدين فى

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

(٢) يقول ابن العربى فى تفسيرها : القتال مكتوب على جميع الخلق ولكن ان كان الاسلام ظاهراً فهو فرض على الكفاية وان كان العدو ظاهراً كان القتال فرضاً على الأعيان ج ١ ص ١٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٢ .

(٤) رياض الصالحين ص ٤٧٥ ، رواه مسلم كتاب الجهاد باب ذم من مات ولم يغزو ج ١٣ ص ٥٦ .

سبيل الله .. وانما المجاهدون فى سبيل الله ـ تلك الغاية المقدسة النبيلة ـ هم الذين ينفرون خفافا وثقالا شبابا وكهولا ، أغنياء وفقراء ، ضعفاء وأقوياء .. ينفرون صابرين على ما كتب عليهم باذلين أموالهم ومهجهم رخيصة فى سبيل الله .. فى سبيل مرضاته وامتثال أمره ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .[1]

ذلكم خير لكم بنيل الأجر والغنيمة أو الشهادة والجنة .. ومن الخير أيضاً طاعتكم الله ورسوله وامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما وعدم منازعتكم واختلافكم ففى ذلك فشلكم وذهاب قوتكم وما كنتم فيه من الاقبال على القتال .. والصبر فى ذلك كله نتائج طيبة عائدة عليكم نعلمها من قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[2] ومن كان مولاه معه كان مؤيدا ظافرا .

ومعلوم لدينا أن الجهاد ذروة سنام الاسلام وان احتمال مشقات الجهاد ومتاعبه وبذل النفس والنفيس فى سبيل العقيدة لا يتم الا بالصبر.. لذا جمع بينهما فى آيات كثيرة :

١ ـ منها قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[3] ابتلاء بتكاليف مستمرة ومتنوعة ..وابتلاء بالسراء والضراء .. بالسعة والضيق .. ابتلاء

---

(١) سورة التوبة الآية ٤١ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة محمد الآية ٣١ .

بالصحة والمرض .. ابتلاء ينكشف به المجاهدون والصابرون ويتميزون عن غيرهم وبذلك تتطلع النفوس وترى معادن الناس وتعرف حقائقهم .. ويكون الواحد منهم مثالا وقدوة لغيره أو عبرة ورادعاً لهم .. وتتم حكمة الله فى الابتلاء .

٢ ـ وقوله تعالى ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ**﴾ (١) وذلك فيه حث المؤمنين على الصبر والثبات عند لقاء العدو مهما كثر عدده ومعداته .. فالمجاهدون حقاً فى سبيل الله هم الذين يستمدون قوتهم ويقينهم من ثقتهم بالله وانهم من الصابرين .. من ايمانهم الصادق بتحقيق قوله ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ (٢) .

٣ ـ وقوله تعالى على لسان بعض المؤمنين العارفين بقيمة الصبر ﴿**قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ**﴾ (٣) ربنا أفرغ علينا صبرا .. تعبير يصور مشهد الصبر فيضاً من الله يفرغه عليهم فيغمرهم وينسكب عليهم طمأنينة وسكينة واحتمالا للهول والمشقة . (٤)

٤ ـ قوله تعالى ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ**﴾ (٥) أى أحسبتم يا من انهزم يوم أحد أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على ألم

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٢) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٠ .

(٤) ظلال القرآن لسيد قطب ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

الجراح والقتل من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم فحكمته جلّ وعلا ألا يدخلوها الا بالجهاد والصبر.[1]

إذن فالجنة جزاء الجهاد فى سبيل الله والصبر المصاحب .. يقول تعالى **﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾**[2]

ويقول ﷺ **(ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وان له ما على الأرض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)**.[3]

وطاعة الوالدين أوجبها المولى على المسلم فعليه أن يعرف واجب برهما والاحسان إليهما لأنهما سبب وجوده فى هذه الحياة ولأنهما قدما له من الجميل ما يوجب معه مكافأتهما بالمعروف فيصبر على طاعتهما فى أمر قد لا يرغبه أو نهيهما عن أمر يود فعله .. وما ذاك الا امتثالاً لقوله تعالى[4] **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا[5] وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ**

---

(١) تفسير القرطبى ج ٢ ص ١٤٦٢ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٣) رواه مسلم ـ كتاب الجهاد باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى ج ١٣ ص ١٤ .

(٤) روى ابن كثير عن مجاهد أن قضى بمعنى وصّى ج ٣ ص ٣٤ وقال الزمخشرى فى الكشاف وقضى ربك : وأمر أمراً مقطوعاً به ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٥) النهر : الزجر والغلظة . كما فسر فى القرطبى ج ٥ ص ٣٨٥٩ .

ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً﴾.[1]

فهو مأمور هنا بأن يستعمل معهما لين الجانب وحسن الخلق والاحتمال فيوقرهما ويطيعهما ويخفض جناحه لهما ويكرمهما بالقول والفعل فلا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا ولا يسافر الا باذنهما ورضاهما ولا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتيهما .. بل لم يرخص له فى أدنى كلمة ـ أف ـ تظهر ، تضجره وعدم صبره على احتمال احوالهما أو أقوالهما خاصة إذا تقدمت بهما السن حيث تهن قوتهما وتضعف وتشتد حاجتهما إلى مزيد من العناية بشئونهما والرعاية لمشاعرهما .. والدعاء لهما بالرحمة عند كبرهما وبعد وفاتهما .

وحسبنا بيانا لمنزلة الأبوين واشادة بحقهما أن قرن المولى عز وجل الاحسان إليهما بالأمر بتوحيده فى كثير من الآيات منها قوله تعالى **﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾**[2] وقوله تعالى **﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾**[3]

وقوله تعالى **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾**[4] واذا ربط سياق الآيات بر الوالدين بعبادة الله فهو يعلن قيمة هذا البر عند خالق البشر ، وفى تكرار الوصية بالاحسان للوالدين تحريك لوجدان الأبناء ولفت انتباههم وتذكيرهم بما فعله

---

(١) سورة الاسراء الآيات ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢) سورة النساء الآية ٣٦ .
(٣) سورة الانعام الآية ١٥١ .
(٤) سورة الاسراء الآية ٢٣ .

الجيل السابق الصابر من أجلهم حيث أعطى كل عافية وكل جهد وكل اهتمام وذلك كله بسعادة غامرة وبصبر لا يعرف الضجر فلا بد إذن من البر والطاعة والاحسان ولا بد من الصبر لأداء ذلك كله .. فالوالدان وخاصة الأم قاست من آلام الحمل والوضع والرضاع والتربية ما قاست .. يقول تعالى ﴿**ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها**﴾[1]

ويقول أيضاً جل شأنه ﴿**ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا**[2] **على وهن**﴾[3]

فالأم هى التى غذته بلبنها وغمرته بحنانها ، وشقيت لأجل اسعاده وتعبت لأجل راحته .. وصبرت وتحملت الآلام فى سبيل أن ترى ابنها زهرة يانعة .. ولو لا رعايتها وحنانها وتحملها للمتاعب لما عاش هذا الانسان .. ولما كانت الأم من أصل خلقتها ضعيفة البنية ، والحمل يزيدها ضعفاً كان الاهتمام بها أولى وحقها فى الصبر أعظم فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : **أمك قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ؟ قال ثم من ؟ قال أبوك**)[4]

---

(١) سورة الأحقاف الآية ١٥ .

(٢) الوهن : الضعف . القرطبى ج ٦ ص ٥١٤٦ تفسير آيات الأحكام للصابونى ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) سورة لقمان الآية ١٤ .

(٤) صحيح البخارى ـ كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة فتح البارى ج ١٠ ص ٣٣٦ ، ورواه مسلم كتاب البر والصلة ـ باب بر الوالدين وانهما أحق به ج ١٦ ص ١٠٢ .

والاسلام يدعو إلى بر الوالدين ولو كانا مشركين ويأمر بالبر بهما والاحسان إليهما ، ويحرم عقوقهما وعصيانهما الا أن يدعو إلى أمر مخالف للدين يقول تعالى **﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾**[1] **﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾** .[2]

فالمسلم هنا مأمور بأن يصاحبهما فى الدنيا بالمعروف ويطيعهما فى غير معصية الخالق وتضييع كحقه .. يصاحبهما بالاحسان غير متأثر بموقفهما من ايمانه .. صابراً على دينه متمسكا به مادام يعلم أنه على حق .

وبتأملنا للآيات الثلاث الموصية ببر الوالدين نجد أن التوصية منصبة على الانسان فكأن فيها أمرا بتنفيذ الوصية بانسانيته .. بأخلاقه .. بآدميته مراعياً من امتص رحيق حياتهما كى يعيش هو .. مهتما بمن تحملا الآلام والمشقات كى يسعد هو . صابراً على كل ما يصدر عنهما مما لا يرغبه أو مما ليس فى مقدوره ، فعله .. متأملاً الحديث الشريف الذى رواه عبدالله بن مسعود قال (سألت النبى ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال : **الصلاة على وقتها** . قلت ثم أى ؟ قال : **بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال حدثنى بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادنى)** .[3]

---

(١) سورة العنكبوت ٨ . (٢) سورة لقمان الآية ١٥ .

(٣) رواه مسلم ج ٢ ص ٧٤ كتاب الايمان باب أفضل الأعمال ورواية الترمذى (يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصلاة لميقاتها قلت ثم ماذا ؟) ج ٣ ص ٢٠٦ .

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لأن فيه مشقة أكبر وبذل للمال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقتى والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين .. فالصبر على مشقتهما وان كان أدنى من الصبر فى مواطن الجهاد ولقاء العدو الا أن المداومة على تأديتهما طوال السنين جعلت المشقة فيهما أكبر ورفعت درجتهما عن الجهاد وان كان الجميع قرناء .

والصبر زاد لا بد منه لمن سلك طريق العلم .. فالاسلام ـ على علمنا ـ فرض على المسلم أن يتعلم (أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام) بما تسلم به عقيدته ويصح دينه وان كان فرض على الأمة الاسلامية أيضاً أن تتعلم من وسائل الحياة والعمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها ويصون عزتها حتى تكون حصناً منيعاً فى وجه أعدائها .. وقد بين فضل العلم وشرفه وعلو مكانته وفرق بين العالم والجاهل فى قوله تعالى ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (١) ﴿**يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (٢)

وطريق العلم محفوف بالمتاعب مملوء بالصعاب ويتطلب اجتهاداً ومثابرة وأدباً وحلماً وصبراً وهذا ما اشترطه العبد الصالح على النبى موسى عليه السلام حينما طلب منه ملازمته واستأذنه لمرافقته .. حيث شرط عليه ألا يسأله عن تصرفاته بل يصبر عليه لأنه سيبين له سرها ويعللها له فيما بعد ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ**

---

(١) سورة الزمر الآية ٩ .
(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .

مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْراً * قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْئَلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً * فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[1] فهال موسى عليه السلام هذا الفعل العجيب ونسى شرطه فاعترض ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾[2] فذكره بالشرط ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْراً﴾[3] وقبل الرجل اعتذاره ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً﴾[4]

قال ذلك وكله أسى وتوجعاً لموت الغلام البرىء .. قاله جازعا غير صابر على وقوع هذا المنكر الفظيع .. معترضاً على هذه الجريمة الحاصلة دونما ذنب .. فما كان من العبد الصالح الا أن قال بلهجة المعاتب المؤنب ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً﴾[5] مؤكداً بذلك على ضرورة صبر المتعلم .. وهنا رد موسى على الفور

---

(١) سورة الكهف الآيات ٦٦ ـ ٧١ .

(٢) الإمر : العجب كما ذكره القرطبي ج ٥ ص ٤٠٥٨ وروى ابن جرير عن مجاهد أن امراً : منكراً ج ١٥ص ١٨٤ .

(٣) سورة الكهف الآيات ٧٢ ـ ٧٣ .

(٤) سورة الكهف الآية ٧٤ ، قال ابن عطية امراً : أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم ، ونكراً : بيِّن فى الفساد لأن مكروهه قد وقع وهذا بين ـ أى أن نكرا أبلغ ـ القرطبي ج ٥ ص ٤٠٦١ .

(٥) سورة الكهف الآية ٧٥ .

﴿**قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً**﴾[١] وهذا شرط لازم والمسلمون على شروطهم وأحق الشروط أن يوفى بها ما التزمه الأنبياء .. فموسى عليه السلام يرى من الخضر من المواقف والتصرفات ما لا يملك .. مع السكوت والصبر لذا كان يعترضه المرة تلو الأخرى إلى أن قال العبد الصالح ﴿**هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ .[٢]

فمن هذه القصة نأخذ العبر الآتية :

١ ـ ضرورة الصبر لمن سلك طريق العلم خاصة إذا وضع المرء نصب عينيه قوله ﷺ (**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة**)[٣]

٢ ـ درساً فى قوة الارادة والعزم على بلوغ الهدف مهما كانت العوائق كما فى قول مزسى عليه السلام ﴿**لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**﴾[٤] أى لا أزال سائراً إلى أن أصل ألى مقصودى ولو سرت زماناً من الدهر[٥] .. وكما فى نصيحة ابن هشام النحوى لطلبة العلم بالصبر على مشاق العلم والتحصيل إذ هو شرط فى نيل المراد العزيز الغالى حيث يقول :

---

(١) سورة الكهف الآية ٧٦ .

(٢) سورة الكهف الآية ٧٨ .

(٣) رياض الصالحين ص ٤٨٦ ورواه مسلم فى كتاب الذكر باب الاجتماع على تلاوة القرآن ج ١٧ ص ٢١ .

(٤) سورة الكهف الآية ٦٠ .

(٥) مع الأنبياء لعفيف طبارة ص ٢٦٧ .

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ... ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا ... يسيرا يعش دهراً طويلاً أخا ذل[1]

٣ ـ درساً فى أدب المتعلم مع العلم .. وهذا يتراءى لنا فى قول موسى عليه السلام ﴿ **هل أَتَّبِعَكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** ﴾[2] بهذا الأدب الجم يخاطبه .. فموسى يضع نفسه من العبد الصالح موضع المتعلم فيعطى له حق قيادته وارشاده .. فاذا نبهه إلى أمر تنبه وإذا بين له خطأ بادر إلى الاعتذار ووعد بالطاعة (لا تؤاخذنى بما نسيت) .

٤ ـ كشف العبد الربانى لموسى الغطاء عن شيئين فى نفس الوقت حيث كشف له أن علمه (أى علم موسى) محمد .. كما كشف له أن كثيراً من المصائب التى تقع على الأرض تخفى فى ردائها الأسود الكئيب رحمة عظمى .. فالنعمة تختفى فى ثياب المحنة وترتدى الرحمة قناع الكارثة ويختلف ظاهر الأشياء عن باطنها حتى ليحتج نبى الله موسى عليه السلام على تصرف يجرى أمامه ثم يلفته عبد من عباد الله إلى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله التى تخفى نفسها وراء أقنعة عديدة .[3]

---

(١) صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبوغدة ص ٥٢ الطبعة الثانية .
(٢) سورة الكهف الآية ٦٦ .
(٣) أنبياء الله ـ أحمد بهجت ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ الطبعة الثالثة .

هذا وهناك أنواع من الطاعات والعبادات غير قليلة لها ارتباط بالصبر منها :

١ ـ **التوكل** : وذلك فى قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[1] وقوله ﴿**نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[2] .. فلقد جمع بين الصبر والتوكل لأن نجاح المرء فى تحقيق ما يصبو إليه بأمرين : أمر من ناحيته وما كان فى وسعه من جهود يبذلها وصعاب تعترضه يتخطاها وهذه كلها محتاجة إلى الصبر ، وأمر من المولى عز وجل مما يخبئه له القدر ويستره الغيب .. وهذا لا يملك منه المرء الا التوكل على الله والثقة به .

٢ ـ **اليقين** : كما فى قوله تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ .[3]

يقول الغزالى المراد باليقين : المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين ، والمراد بالصبر : العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو باعث الدين فى قهر الهوى والكسل[4] ولأن

---

(١) سورة النحل الآيات ٤١ ، ٤٢ . (٢) سورة العنكبوت الآية ٥٩ .
(٣) سورة السجدة الآية ٢٤ .
(٤) احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٦٥ .

الايمان يطلق على التصديق والأعمال وهنا التصديق والمعرفة يكونان اليقين والعمل هنا يعنى الصبر ولانهما لا يستغنيان عن بعضهما اقترنا هنا .

٣ ـ **الشكر** : وهو طاعة لورود آيات كثيرة تأمر به منها قوله تعالى **﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا﴾**[١] وقوله **﴿ان اشكر لى ولوالديك إليَّ المصير﴾**[٢] ولأن الشكر يعقب نعما كثيرة لم تفتن صاحبها أو مصائب جمة عرف أنها من أقدار الله فصبر عليها اقترن الصبر بالشكر فى قوله تعالى **﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبَّار شكور﴾** حيث جاء هذا التذييل لأربع آيات من أربع سور مكية .[٣]

٤ ـ **الحق** : فى قوله تعالى **﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** وهنا اقترن الحق والصبر لأن تكاليف الحق ثقيلة وطريقه محفوف بالمكاره ومن نصب نفسه للحق .. عليه أن يستمسك بالصبر ويتحلى به فى سبيل الحق حيث لا نصر للحق بغير صبر ومن ثم فتكرار لفظة التواصى بالصبر تدل على مكانة الصبر وأهميته وأنه ينبغى للمرء أن يتواصى به لذات الصبر وليس تبعاً للحق فقط .

٥ ـ **التقوى** : فى قوله تعالى **﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾**[٤] **﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾**[٥] **﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر**

---

(١) سورة النحل الآية ١١٤ . (٢) سورة لقمان الآية ١٤ .
(٣) المعجم المفهرس ص ٤٠١ مادة صبر (٤) سورة العصر الآية ٣ .
(٥) آل عمران الآية ١٢٠ .

المحسنين﴾[1]

وجاء فى قوت القلوب : والتقوى والصبر معنيان أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الأحوال من حيث كانت التقوى أعلى المقامات إذ الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ـ والأكرم على الله هو الأفضل .[2]

وعلق ابن القيم تعليقاً طيباً على قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**[3] حيث قال قد يصبر ـ أى المؤمن ـ ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى فأخبر جل شأنه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها فقال **﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذى يخاف هجوم العدو منه فى الظاهر فهى ـ أيضاً ـ لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته .[4]

ويكفينا نموذجاً رفيعاً يمثل الصبر على تقوى الله وطاعته فيما أمر ـ مهما كان فى ذلك الأمر من مخاطر ـ قصة اسماعيل مع أبيه إبراهيم عليهما السلام فقد رأى الخليل إبراهيم عليه السلام فى المنام أنه يذبح ولده الذى هو مهجة قلبه وأمل حياته ـ ورؤيا الأنبياء حق ووحى ـ ففهم ما أشارت به الرؤيا من امتحان ايمانه ودرجة طاعته وتقواه فما

---

(١) سورة يوسف الآية ٩٠ .
(٢) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .
(٤) عدة الصابرين لابن القيم ص ١٣ .

كان منه الا أن عرض الأمر على الابن لينظر فيه وحتى لا يأخذ ابنه ويذبحه قهرا ﴿**يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟**﴾[1] وإذا برد الابن يأتيه مبينا رضاه لأمر الله وكاشفاً له منافسته فى حب الله ومخلدا اسمه فى سجل الأنبياء الصابرين ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين**﴾[2] .. وبهذا دخل فى زمرة الصابرين ﴿**وإسماعيلَ وإدريسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِى رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ**﴾[3] وكانت تلك التضحية فى سبيل الله تضحية من وجهين : تضحية الوالد بولده وتضحية الابن بنفسه ..[4] وهى بالتالى من أرفع صور الايمان وأجلها فى تاريخ الانسانية .. ومن ثم لا نعرف أى مشاعر جاشت فى نفس إبراهيم بعد استسلام ابنه الصابر .. وكل الذى نعرفه انه من كان مطيعاً تقياً كان صابرا .

ومن هنا نرى أن معظم الطاعات والأعمال الصالحات مرتبطة بهذا القول العظيم ﴿**الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير**﴾[5] مما يجعل للصبر مكانة عالية ويجعله فى تأدية العبادات واجباً .

---

(١) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الأنبياء الآيات ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) مع الأنبياء لعفيف طبارة ص ١٣٩ ، أنبياء الله أحمد بهجت ص ٩٤ .

(٥) سورة هود الآية ١١ .

النوع الثانى ـ الصبر عن المعاصى

مما يسترعى الانتباه أن المجتمعات اليوم ـ فى سائر أرجاء الأرض ـ تبتعد عن أوامر الله ، يفعل الفرد المعاصى دون وجل ويحلل المحرمات دون وازع من دين أو خلق ، يعتبر أن حياته التى يعيشها محصورة فى هذه الدنيا فقط ويظن أن سعادته فى نيل اللذات المحرمة ويوحى إلى نفسه وإلى من حوله أن أفعاله تلك هى المعقولة .. هى المسايرة للتطور الحضارى .. ولكنه حينما يخلو إلى نفسه وينظر فى حقيقة ذاته يدرك أن قلبه لم يشعر بلذة ، وأن ضميره يحتقر ما فعله هذا إذا كان من أصحاب النفوس الطيبة .. ذلك أن النفوس الغير خبيثة لا بد أن تدرك يوماً أن للمعاصى والذنوب والخطايا آثارا نفسية واجتماعية سيئة وخطيرة فتمقتها وتبتعد عنها . ولما كانت المعاصى كبيرة أو صغيرة ، ظاهرة أم باطنة محرمة ومنهى عنها كان الصبر عنها ذا قيمة كبرى فى حياة الفرد والمجتمع لأنها لم تحرم عليه الا لأنها ضارة بصحته وعقله وعمله وضارة بمجتمعه لأنها تجعله ينقسم على نفسه ويتفرق عقده ويصبح عرضة للفتن والحروب .

ومن كبائر الإثم التى جاء الوعيد فيها بالعذاب الشديد يوم القيامة : ترك الصلاة ، والصلاة كما نعلم ـ عدا كونها تصل المرء بربه ـ ماحية للذنوب ناهية عن الفحشاء والمنكر كما أشار القرآن الكريم ﴿**وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات**

يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾[1] **﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾**[2] .. فاذا تركت الصلاة وغفل المرء عنها وسول له الشيطان أن لا فائدة منها وقعت الفاحشة وابتعد المرء عن ربه وضاعت حياته سدى وإذا فارق الدنيا فارقهاعلى غير ملة الاسلام ـ والعياذ بالله ـ يقول ﷺ **(بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)**[3]

وإذا صبر المسلم عن ملهيات الحياة وشهواتها الفانية وحافظ على صلواته التى تصله بمولاه وتمده بقوة عند المحن وجاهد بشدة الوساوس والمغريات التى تصرفه عن الصلاة .. فصبره ذاك محمود واجب ، ولأن من يخضع جوارحه لأمر الله فى الصلاة من ركوع وسجود ـ مرات عديدة فى اليوم والليلة تصبح نفسه مطيعة لأوامر الله ورسوله فى بقية الأمور وفى طاعتها الطريق الموصل لسعادته فى الدنيا والآخرة .

ومن المعاصى المفروض الصبر عنها عقوق الوالدين والذى من مظاهره :

١ ـ شتمهما وسبهما الذى يعد من الكبائر فقد قال رسول الله ﷺ **(من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه** قيل يارسول الله

---

(١) سورة هود الآية ١١٤ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان باب حكم تارك الصلاة ج ٢ ص ٧١ ، نيل الأوطار ج ١ ص ٣٤٠ .

وكيف يلعن الرجل والديه قال : **يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه)**[1] وفى هذا استهتار بكرامة الوالدين وتعريض اسميهما للاحتقار والامتهان .

٢ ــ هجر الوالدين ورفض زيارتهما نتيجة حصول الابن على منصب اجتماعى مرموق وانغماسه فى طبقة تعلو على طبقة والديه .. وبالتالى عدم مساعدته لهما مادياً إن كانا فقيرين .

٣ ــ تحميل الوالدين فوق طاقتهما مثل كثرة مطالبتهما بالمال وتهديدهما بالضرب إن كانا ضعيفين ــ أو بالقاء نفسه فى النهر نتيجة سوء تفاهم واقع بينهم .

والمرء إذا ضاقت به الدنيا ومهد له أصحاب السوء عقوق والديه عليه أن يضبط نفسه ولا يتركها للغضب أو اليأس أو استماع السوء .. عليه أن يعالج أموره بالهدوء والحكمة ويفكر فى الوسائل التى تزيل الخصام بينه وبين والديه ويعمل جهده كى يسعدهما ويبرهما ويصبر على ايذائهما له ويصبر عن معصيتهما ومخالفتهما وعقوقهما مهما كانت النتائج .. ولن تكون النتائج سيئة مادام الابن يحاول أن يبرهما امتثالا لأمر ربه فى طاعتهما **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾**[1] ومعلوم أن رضا الرب فى رضا الوالد فقد روى الترمذى عن النبى ﷺ قوله **(رضا الرب فى رضا الوالد**

---

(١) صحيح البخارى كتاب الأدب باب لا يسب الرجل أبويه ــ فتح البارى ج ١٠ ص ٣٣٨ ــ مسند أحمد ج ٢ ص ٢١٦ ، صحيح مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) سورة الاسراء الآية ٢٣ .

وسخط الرب فى سخط الوالد)[1]

ومن المعاصى التى يجب البعد عنها التخلف عن جهاد العدو لأن ذلك يؤدى إلى الهزيمة وبالتالى إلحاق العار والذل بالأمة ، ومن ثم فالتخلف عن جهاد العدو معصية تفضى بصاحبها إلى أمرين : غضب الله وعذاب النار قال تعالى **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً**[2] **فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾**[3] .. بل التخلف عن الجهاد من الموبقات التى حذرنا منها المصطفى عليه الصلاة والسلام **(اجتنبوا السبع الموبقات** قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال : **الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)**[4] .

وقد يكون التخلف عن جهاد الأعداء ـ بعدم المشاركة فى جيوش المسلمين وخوض غمار المعركة لدفع خطر الأعداء ـ تكاسلاً وتهاوناً دون عذر وايثارا للدعة والعيش فى أمان وذلك كما حصل لثلاثة من المسلمين فى عهد النبى ﷺ ـ هم كعب بن مالك ، هلال بن أمية الواقفى ، مرارة بن الربيع العمرى ـ[5] وهؤلاء قد

---

(١) الترمذى ج ٣ ص ٢٠٧ باب الفضل فى رضا الوالدين .

(٢) التزاحف : التدانى والتقارب ، ومتحرفاً للقتال : مستطرداً لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكر عليه ، متحيزاً إلى فئة : صائراً إلى حيز المؤمنين الذين ينبئون به معهم إليهم ـ الطبرى ج ٩ ص ١٣٣ .

(٣) سورة الأنفال الآية ١٥ ، ١٦ .

(٤) الكبائر للذهبى ص ٧٨ ، مسلم ج ٢ ص ٨٣ كتاب الايمان باب اكبر الكبائر .

(٥) رياض الصالحين ص ١٨ .

أدبهم الاسلام والمسلمون أدباً نفسياً مؤلما وعاقبهم عقابا اجتماعياً كاد يخرجهم من جماعة المسلمين ... وسواء كان التخلف عند لقاء العدو أثناء المعركة أو بمعنى عدم المشاركة فى الجهاد ـ أصلاً ـ رغبة فى الحياة وتعلقاً بها فهو معصية ، الدافع إليها الكسل وعدم الرغبة فى الجهاد .. والصبر عنها من الأمور الواجبة ، لأن مآل تلك المعصية ظاهر واضح .. ويعتبر البعد عنها الصواب والسداد والتجارة الرابحة ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾ [1]

والكبرياء لما كانت آفة من آفات المجتمع ضارة به اعتبرت من كبائر الإثم وحذرنا جل شأنه منها بقوله تعالى ﴿**سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق**﴾ [2] ﴿**إنه لا يحب المتكبرين**﴾ [3]

والمتكبر يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه ويرفض أن ينقاد له بالحق ، ويصم أذنيه عن كل نصيحة تأتيه من الناس وفى ذلك أنانية طاغية تصرفه عن تقديم خدماته للمجتمع الذى يحتقر أفراده ويعتقد أنه يتميز عنهم بما أوتى من علم أو عمل أو مال أو جاه أو قوة .. ومادام هذا شعوره نحو من حوله فالناس لن تضمر له الا الكراهية .. وليست الكراهية هى عاقبة الكبرياء بل عاقبته أكبر من ذلك بكثير يقول المصطفى ﷺ (**إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطراً لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر قيل يا رسول**

---

(١) سورة التوبة الآية ١١١ . (٢) سورة الأعراف الآية ١٤٦ .
(٣) سورة النحل الآية ٢٣ .

الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1] ويقول **(ألا أخبركم بأهل النار ؟ : كل عتل**[2] **جواظ مستكبر**[3]**)** .

ولكن قبل أن تقع هذه العاقبة الوخيمة وحيث لا ينفع الندم هناك علاج للكبرياء .. هو الصبر عنها .. هو أن يعود الانسان إلى نفسه فينظر فى أصل نشأته . ومنتهى حياته ويرى هل يسوغ له أن يتكبر ؟ فهو إذا عرف قدر نفسه حق المعرفة وعرف مبلغ هوانه كان ذلك حافزاً له على نزع الكبرياء من نفسه وهذا ما يلفت القرآن الكريم النظر إليه حيث يقول تعالى **﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾**[4] **﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾** .[5]

وفى معاملاتنا المادية توجد بعض المعاملات هى فى أصلها معاص وآفات حرمها الاسلام أو حذرنا منها ورسم لنا كيفية معالجتها بما فيه صلاح الفرد والمجتمع منها :

١ ـ أكل الربا : فهو محرم بقوله تعالى **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾**[6] ويلعنه رسول الله ﷺ فقد روى عن ابن مسعود أنه قال

---

(١) رواه مسلم كتاب الايمان باب تحريم الكبر ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) العتل : هو الغليظ الجافى ، والجواظ هو الجموع المنوع أو هو الصنم الجسم المختال .

(٣) منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى ص ١٦٠ ، رواه البخارى كتاب التفسير (باب عتل بعد ذلك زنيم) نانظر فتح البارى ج ٨ ص ٥٠٨ ، وأبوداود : بروايته : لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى) باب فى حسن الخلق ج ٢ ص ٥٥٣ .

(٤) سورة الاسراء الآية ٣٧ .

(٥) سورة لقمان الآية ١٨ .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه)[1] وجعله ﷺ من المهلكات فى الدنيا والآخرة حيث قال : (**اجتنبوا السبع الموبقات** : ... **وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا** .....)[2]

والاسلام إنما حرمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم هذه المعصية وهى استغلال المال فى الربا ، لأن فائدته مضمونة ، فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوا لها سبيلاً إلى نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال فى التجارة والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاككم حرمات الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**﴾[3]

---

(١) رواه أبوداود فى كتاب البيوع باب فى آكل الربا وموكله وفى عون المعبود ج ٩ ص ١٨٢ قال النووى فيه تصريح بتحريم كتابة المترابين والشهادة عليها وبتحريم الاعانة على الباطل .

(٢) البخارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى** وانظر **فتح البارى ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣** .

(٣) **سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩)** .

٢ ـ أكل أموال اليتامى : فكانت معصية لأن اليتامى ضعفاء ليس لهم معين يساعدهم ويعتنى بهم ويحفظ حقوقهم لذا حرم الاسلام أكل أموالهم وحذر من الطمع فيها بما تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ويخافون بطشه وعقابه .. قال تعالى ﴿**وَءَاتُواْ ٱلْيَتَامَىٰٓ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ [١] أى ولا تضموها إليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة [٢] بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال انه أى أكلها ذنبا عظيما .

وقال تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [٣]

واعتبر الاسلام ذلك من الموبقات السبع (**وأكل مال اليتيم**) [٤] فكافل اليتيم ان صبر عن هذه المعصية المحرمة فحاول تدبير أموره المالية لرعايته لليتامى ـ أو استعمل مال اليتيم ـ ان كان فقيرا ـ بما يعود عليه أو عليهما بالنفع ـ فى تجارة أو زراعة ـ وبحيث يحفظ لليتيم حقه الأصلى عاملاً بقوله : ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن**﴾ [٥] .. ومن ثم حاول أن يتعهده ويرشده ويعوضه عن أبيه كافلا رحيما وراعيا حكيماً أثيب على ذلك كله بمرتبة عليا يقول

---

(١) سورة النساء الآية ٢ .

(٢) تفسير النسفى ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النساء الآية ١٠ .

(٤) رواه مسلم كتاب الايمان باب اكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .

ﷺ **(أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا)**[١]

٣ ـ البخل : هذه الصفة الذميمة تعنى القسوة فى قلب صاحبها وفقدانه الرحمة .. تعنى أنانيته الشديدة وعدم تفكيره بالغير ومراعاته لشعورهم واحتياجاتهم .. تعنى البغضاء الدائمة بين الفقراء المحتاجين وبين الأغنياء البخلاء المترفين .. لهذا اعتبر الاسلام البخل من كبائر الذنوب .. فقد ورد مبينا ذلك قوله تعالى **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾**[٢] .. وقد بين النبى ﷺ الاثم العظيم الذى يلحق بالبخيل فقال **(والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار)**[٣] وبهذا المعنى جاء قوله تعالى **﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾**[٤] أى ومن بخل بحق الله واستغنى عن ثوابه فسنيسره لطريق الشر[٥] وأى شىء يدفع عن هذا الذى بخل بماله واستغنى عن ربه ماله يوم القيامة إذا هو تردى فى جهنم أى سقط فيها فهوى .[٦]

---

(١) البخارى كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيماً وفى فتح البارى ج ١٠ ص ٣٦٥ فى الحديث اشارة إلى أن بين درجة النبى ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى ، ورواه مسلم كتاب الزهد باب فضل الاحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ج ١٨ ص ١١٣ ، ورواه أبوداود كتاب الأدب ، باب من ضم يتيماً فى عون المعبود ج ١٤ ص ٦٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

(٣) الترمذى ج ٣ ص ٢٣٢ .

(٤) سورة والليل ٨ ــ ١١ .

(٥) ابن كثير ج ٤ ص ٥١٨ .

(٦) ابن جرير الطبرى ج ٣٠ ص ١٤٤ .

ومادام البخل معصية محرمة لما تجره على الانسانية من شرور وأحقاد وبما تطمسه فى نفس المؤمن ـ والعياذ بالله ـ من حب للاحسان والبر أو القرض ومادامت هذه نتيجة البخل وعاقبته كان الصبر عن هذه النزعة الخسيسة واجباً ونافعاً لصاحبه قال تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْراً لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

والاسلام حرصاً منه على صحة أفراده ومحافظة منه على سلامتهم البدنية والنفسية ـ كى يؤدوا فرائضه بخشوع ـ حرم عليهم بعض المأكولات والمشروبات لما تجلبه عليهم من أضرار وشرور كالخمر مثلا حرمت بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (٢)

وتناولها بعد من المعاصى الكبيرة التى يجب الصبر عنها مهما حاولت نفس المرء أن تغريه ليتناولها على أساس كونها دواء للأزمات النفسية أو على أساس مسايرة الأصدقاء فى المناسبات الراقية الاجتماعية .. هذه النفس الشريرة ينبغى دفع شرها وكبت رغبتها المحرمة الغير واعية لأضرار هذه الخمر الملعونة ويكفى أنها تزيل عقل الانسان ويحدث بعدها ما يحدث من مصائب وشرور حيث يغتصب

(١) سورة التغابن الآية ١٦ .
(٢) سورة المائدة الآيات ٩٠ ـ ٩١ .

هذا أقرب الناس إليه وهو تحت تأثير الخمر .. ويخسر ذاك ثروته ويبددها فى القمار والرهان وهو سكران ويقتل هذا رجلاً آخر بغير حق ولا ذنب وهو سكران وتصدر عن هذا ـ وهو ذو المركز المرموق المبجل ـ تصرفات مخجلة تجعله أضحوكة فى نظر الناس وبالتالى يقل احترامهم له ... وغير هذا كثير ويكفى انها تصد عن ذكر الله والصلاة .. فالصبر عن هذه الكبيرة ـ شرب الخمر ـ واجب له آثاره الحميدة حيث يتوب المولى عز وجل عن شاربها إذا تاب أما إذا لم يقلع عنها فهو من الملعونين كما قال ﷺ **(لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه)**[١] وهو أيضاً من المحرومين منها يوم القيامة ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال **(من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة)**[٢]

وتناول بعض المأكولات كالميتة أو لحم الخنزير أو المنخنقة **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾**[٣] **﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ﴾**[٤] المحرمة بعد معصية الله وانتهاكا لحرماته الصبر عنها

---

(١) رواه أبوداود كتاب الأشربة باب العصير للخمر وانظر عون المعبود ج ١٠ ص ١١٢ ، مسند أحمد ج ر ص ٩٧ .

(٢) رواه مسلم كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر ج ١٣ ص ١٧٢ ، ابن ماجة الأوطار : يحمل الحديث عند أهل السنة على أنه لا يدخلها ـ أى الجنة ـ ولا يشرب الخمر فيها ـ التى هى لذه للشاربين ـ إلا أن يعفو الله عنه فهو فى المشيئة ج ٨ ص ١٩٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٣ .

(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

واجب ، ولو بحث بعض المسلمين ـ المسافرين للخارج ـ عن الحكمة فى تحريمها لما صبر عنها فقط بل لخر ساجداً لله شاكراً له على تشريعه الحكيم المتضمن تحريم أغلب الأشياء التى تضر بالانسان فمثلاً لحم الخنزير فيه أضرار تدعو إلى تحريمه لا على المسلمين وحدهم ولكن على البشرية كلها :

١ ـ حيث فيه بعض الأمراض المعدية التى إذا ما انتقلت للانسان أصابته بأمراض خطيرة قد تودى بحياته .

٢ ـ وقد تنتقل صفات الحيوان ـ المتغذى بلحمه ـ وأخلاقه إلى الانسان حيث تؤثر فيه وفى ميوله .. ويقال أن بعض القبائل المتخلفة فى أفريقيا أصبحت شرسة تميل إلى العنف والقتل وسفك الدماء بدون سبب وذلك نتيجة أكلها الحيوانات آكلة اللحوم . ولما كان الخنزير حيوانا شرساً مفترساكان الصبر عن تناول لحمه واجباً محافظة على الصفات والأخلاق الانسانية .

٣ ـ ومن ثم فلحمه يحتوى على نسبة كبيرة من الدهن تصل إلى نصف وزنه وهذا الدهن عسر الهضم ويزيد احتمال الذبحة القلبية وتصلب الشرايين .(١)

فهذه الأضرار وغيرها تكفى المرء للصبر عن تناول هذا اللحم الخبيث وأمثاله وإن كان الصبر عنها واجباً اجتنابا لتحريم الله المصرح فى الآيات السابقة .

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى عدد ١٣٩٦/١٣٩هـ ص ٦١ .

ومن أهم المعاصى والكبائر التى يجب الابتعاد والصبر عنها ـ مهما كانت المغريات والدوافع ـ الزنا . قال تعالى ﴿**وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً**﴾[1] .. فقد وصفه المولى عز وجل هنا بأنه فاحشة قبيحة وأنه طريق سيء فويل لمن يسلكه .. وإذا تأملنا النهى فى الآية وجدناه زاجراً شديداً حيث نهى عن الاقتراب منه فضلاً عن اتيانه وفعله ، والرسول ﷺ شدد فى النهى عنه وبين أن الزنا لا يجتمع مع الايمان بحال اطلاقا ، لأن الايمان الصادق الصحيح يمنع المؤمن من معصية ربه وانتهاك حرماته فقال ﷺ (**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن** ...)[2] ذلك أن من يقدم على فعل هذه المعصية المتناهية فى القبح .. يقدم بشهوته فقط غير مراع ما تثيره من مشاكل وأضرار اجتماعية وصحية وأخلاقية فبها تختلط الأنساب وتثار الأحقاد بسبب الغيرة والمحبة وبها تضيع الأموال بالانفاق على أصحاب السوء وبهذه الفاحشة يكثر الأولاد الغير شرعيين وفى سبيل التخلص منهم تحصل مآسى وجرائم كثيرة لا يقرها شرع ولا عقل ، وبهذه المعصية المحرمة يقع الانسان فى أمراض معدية خطيرة تهلك جسمه ويورثها نسله : كالسيلان والزهرى وخلافه .. وبعدا عن ذلك كله نتساءل : ألا يقنع المرء بما أباحه الله له ؟ ولماذا لا يعمل بقوله تعالى ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ**

---

(١) سورة الاسراء الآية ٣٢ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب المظالم باب النهى بغير اذن صاحبه ـ فتح البارى ج ٥ ص ٨٦ ، ومسلم فى كعاب الايمان باب نقصان الايمان بالمعاصى ج ٢ ص ٤١ .

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[1]

ولماذا لا يصبر عن هذه المعصية الظاهرة الفسادة ؟ .. وهلا اقتدى بيوسف عليه السلام الذى صبر عن هذه المعصية الكبيرة صبر اختيار ورضا ؟ وحاول جاهداً محاربة نفسه ـ البشرية الأمارة بالسوء ـ خاصة وأن جميع الأسباب كانت مهيأة ودافعة له على اقتراف تلك المعصية العظيمة منها :

١ ـ ان المرأة التى دعته إلى نفسها سيدته وهى جميلة ومكتملة وجريئة .

٢ ـ ولأنه كان شابا فيه الحيوية والنشاط والقوة .

٣ ـ وكان غريبا بعيدا عن أهله وأصحابه والغريب قد يخطر له أن يفعل ما يشاء فى بلد الغربة دون أن يستحى من شىء .

٤ ـ وكان أيضاً غير متزوج فليس عنده ما يصونه ويرد عنه شهوته .

٥ ـ وكان أيضاً مملوكاً ـ عبداً ـ لسيدته التى تأمره أن يفعل بها الفاحشة وكان بإمكانه الاستجابة لها خاصة وأن سيده غير موجود وكان بإمكانه إطاعة أمرها دفعاً لتهديدها حيث توعدته ـ ان لم يفعل ما تقوله ـ بالسجن والصغار ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ ٱلصَّاغِرِينَ﴾[2]

ولكن يوسف عليه السلام مع وجود هذه الأسباب جميعها

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٥ ـ ٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٢ .

صبر عن فعل تلك المعصية واختار ما أعده الله للصابرين المخلصين المتقين وليس ما أعده الظالمون لأنفسهم من ملذات. وشهوات عاقبتها وخيمة وعقابها شديد .. وقال تعالى ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ﴾[1] .

قصة يوسف هذه تكشف لنا عن ضعف الانسان فى حال وقوته فى حال آخر فالانسان ضعيف إذا استسلم لهواه واعطى زمامه لنفسه الأمارة بالسوء ، وهو قوى إذا رجع إلى أحكام دينه وسلطان عقله واستمع إلى وحى ضميره وعرف قدر انسانيته واستشعر انه خليفة الله فى الأرض وانه انما خلق ليسود ويحكم ، وانه لن يسود ويحكم إذا كان عبداً لأهوائه ولياً لشهواته ، وانه يسود ويحكم إذا حكم أهواءه واستعلى على دواعى شهواته .[2]

نعم وانه لكذلك فمرضى النفوس ان تركوا انفسهم على أهوائها واستحلوا كل منكر وقبيح غير مبالين بصوت الدين والضمير مثل هؤلاء شرع لهم الاسلام عقوبة أليمة مخزية ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

وتكفى هذه العقوبة ـ المخجلة الفاضحة ـ عبرة لغيرهم ممن

(١) سورة يوسف الآية ٢٣ .
(٢) قصتا آدم ويوسف عليهما السلام لعبد الكريم الخطيب ص ١٤٠ .
(٣) سورة النور الآية ٢ .

يحادثون أنفسهم بالزنا .. كي يصبروا عنه ويتقوا ربهم ويخشوا عذابه المتضاعف يوم القيامة ﴿**وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً**﴾(١) وإذا ما صبر المرء عن هذه المعصية ربما اعتبر من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة يقول ﷺ (**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق فى المساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله**)(٢)

النوع الثالث
الصبر على البلاء

خلق المولى عز وجل الحياة الدنيا على طبيعة متغيرة متقلبة فيها الحزن والمسرة .. فيها الصحة والمرض .. فيها المحبوب والمكروه . وقد يكون مقدراً على بعض الناس صنوف من الابتلاء فليس أمامه إلا الصبر والتسليم ، الصبر على ما قدر له والتسليم والرضا بقضاء الله .. وذلك هو الطريق الصحيح لاجتياز الامتحان الأكبر .. وهو الحياة ، ولكن الانسان يدهش للصعاب ويتبرم بالآلام ويجزع للمصائب وإذا صدمته أو نزلت به كارثة فزع وجزع وضاقت عليه

---

(١) سورة الفرقان الآيات ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين وفتح البارى ج ٣ ص ٢٣٢ وصحيح مسلم كتاب الزكاة داب فضل اخفاء الصدقة ج ٧ ص ١٢٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣٩ ، النسائى كتاب القضاة باب الامام العادل ج ٨ ص ١٩٦ .

الأرض بما رحبت ﴿**إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً**﴾[1] ﴿**خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾[2] فالمرء مثلاً قد يولد وبه عاهة من العاهات أو يحدث له حادث فيصاب فيه بكسر أو حروق أو جروح أو ارتجاج ينتج عنه فقده لبصره ـ أغلى ما يملك ـ فيكون أمامه إما أن يشفى أو يبتلى بما يكره وفى كلا الأمرين يحتاج إلى الصبر والاحتمال ، فاذا فعل ذلك ورضى بما قسم له الله وقدره عليه يكون جزاؤه كما بينه المصطفى ﷺ حيث يقول (**إن الله تعالى قال : إذا ابتليت عبدى بحبيبته فصبر عوضته منهما الجنة**)[3]

والصبر مطلوب أيضاً إذا كان الضر والأذى أو الموت سيلحق بأحب الأشخاص للانسان وهو ولده .. فعن أنس بن مالك (أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكى على صبى لها فقال لها : **اتقى الله واصبرى** ، فقالت وما تبالى بمصيبتى فلما ذهب قيل لها انه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين ، فقالت : يا رسول الله لم أعرفك فقال : **انما الصبر عند أول صدمة أو عند أول الصدمة**)[4]

ولئن فقد الانسان ولده أو زوجته أو والده أو أخيه أو صديقه أو

---

(١) سورة المعارج الآيات ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٧ .

(٣) صحيح البخارى كتاب المرضى باب فضل من ذهب بصره وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ١٠٠ حيث يقول : المران بحبيبتيه المحبوبتان لأنهما أحب أعضاء الانسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الآسف على فوات الرؤية لما يريد من خير فيسر به أو من شر فيجتنبه . ورواه الترمذى كتاب الزهد باب ما جاء فى ذهاب البصر ج ٤ ص ٢٩ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجنائز باب زيارة القبول وانظر فتح البارى ج ٣ ص ١١٨ ومسلم كتاب الجنائز باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ج ٦ ص ٢٢٧

أخته ممن يربطه بهم رابطة وثيقة متينة كالنسب أو الرحم أو الصداقة فليس أمامه الا الصبر، وما عليه الا الاسترجاع تسليما ورضى بقضاء الله وبقدره ـ يقول ﷺ (**إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب ـ وقال ما أمر به ـ بثواب دون الجنة**) .[1]

نعم ان هذا الثواب العظيم يكون لمن صبر عند الصدمة الأولى بقلبه ولسانه واعيا ان المرء مهما عاش لا بد أن يرجع إلى ربه ولا بد أن يترك هذه الدنيا الفانية .

ولئن صبر عن فقد الأشخاص ذوى الأرواح الطيبة فأولى به من صبره على فقد ماله أو متاعه أو عقاره بضياع أو بحريق أو بغيره ذلك أن تلك الأشياء ما هى الا متاع الحياة الدنيا ﴿**ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[2]

ومن ثم فالبلاء سواء كان نفسياً أو بدنياً لم ينج منه أشرف البشر وهم الأنبياء .. بل هم أشد الناس ابتلاء فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال (قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان فى دينه صلباً اشتد بلاؤه**) .

ومن هنا نعلم أن البلاء لا يدل على شقاء الانسان .. فالسعادة والشقاء فى هذه الدنيا لا يترتبان على الأعمال الصالحة أو السيئة

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٦ .

(٢) ابن ماجة كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤ .

والدنيا ليست دار جزاء وإنما هى دار ابتلاء .. وأيوب عليه السلام لما امتحن بمرض فى جسده[1] وامتحن بفقد أهله وأمواله صبر وشكر فكان أن رحمه الله فأعاد له صحته وعافيته وأعطاه أضعاف ما فقد من أموال وأولاد[2] رحمة به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه (**وذكرى للعابدين**) أى قدوة وتذكرة للعابدين ليثبتوا على عبادتهم وليصبروا كما صبر أيوب حتى يثابوا كما أثيب فى الدنيا والآخرة .. وذكرى لأولى الألباب أيضاً ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة .. وليكون لهم أيوب اماما للعقلاء وقدوة لأهل الصبر والبلاء وسلوة من الكروب للأصفياء ..

وإذا امتدحه المولى عز وجل بقوله ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾[3] فوصل اسمه باسمه حبا له وقربا منه ووصفه بالصبر فاظهر مكانه فى القوة والعزيمة[4] .. فمعنى ذلك أنه نموذج للعبد القدوة الصالح الصابر الذى لا يضيق صدره بالبلاء والذى يستحق أن يضرب به المثل على مر العصور كيف لا ؟ وقد قال فيه رب

---

(١) لم يكن المرض مرضاً منفراً ظهر على البشرة وإنما كان على ما هو الظاهر فى العظام وفى المفاصل وأما ما يرويه الوضاعون والقصاص من انتشار القروح بجسمه فهو كذب واختلاق .. واغلب الظن أن هذا من الاسرائيليات والخرافات الباطلة التى افتراها اليهود على أنبياء الله ورسله .

(٢) روى ابن كثير عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن وقتادة : ان المولى عز وجل رد على أيوب أهله وولده عياناً ومثلهم معهم ج ٣ ص ١٨٩ . وقال سيد قطب فى الظلال : ليس فى نص الآيات ما يحتم انه أحيا له من مات ، وقد يكون معناه انه بعودته إلى الصحة والعافية قد استرد أهله الذين كانوا بالنسبة إليه كالمفقودين .. وانه رزقه بغيرهم زيادة فى الانعام والرحمة والرعاية ج ٢٣ ص ١٠٢ .

(٣) سورة ص الآية ٤٤ .

(٤) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠٢ .

العزة : نعم العبد ـ أشرف وصف للانسان ـ ثم قال فيه : إنه أواب[1] أى رجاع لله منيب إليه فى كل الأمور .

ومن ثم فالمرء لا يدرك الحكمة من تناثر المصائب والبليات عليه فقد يكون فيها الخير له حيث تعاف نفسه متع الدنيا شيئا فشيئا فلا يعود ينخدع بها أو يركن إليها أو تستهويه ورب ضارة نافعة ورب محنة فى طيها منح ورحمات يقول الرسول الكريم ﷺ **(من يرد الله به خيراً يصب منه)**[2] ويقول أيضاً **(ان عظم الجزاء من عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط)**[3]

ولهذا كله ولمعرفة الدعاة إلى الله بأهمية سلاح الصبر وأنه السيف البتار للباطل وأنه الضياء ـ للحديث الشريف ـ والصبر ضياء ـ الذى ينير لهم طريق دعوتهم .. اتخذ الدعاة إلى الله الصبر صديقا ورفيقاً يخفف عنهم ما يواجهونه من متاعب وآلام ومن أذى واتهامات عظام يقابلهم بها الناس المعرضين عن الحق ولهذا وصى لقمان الحكيم ابنه بالصبر على ما يستقبله من بلاء وأذى واضطهاد .. بعد أن وصاه بالأمر بالمعروف حيث قال له ﴿**يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**﴾ .[4]

---

(١) أواب : إلى طاعة الله مقبل وإلى رضاه رجاع تفسير الطبرى ٢٣ ص ١٠٩ .

(٢) رواه البخارى كتاب المرضى باب ما جاء فى كفارة المرض وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩٤ حيث يقول فى معنى يصب منه : أى يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها .

(٣) الترمذى فى كتاب الزهد باب الصبر على البلاء ج ٤ ص ٢٧ ، وابن ماجة فى كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٨ .

(٤) سورة لقمان الآية ١٧ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿**رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا . وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهارا . ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ [1] ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمونه بما ليس فيه فيصبر ﴿**وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين**﴾ [2] ﴿**إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين**﴾ [3] وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسيئة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلّا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسر والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار ويبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقيه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجراً لم يصده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلاً حسياً لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿**فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون**﴾ [4] وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من افتضاح حالهم ـ لضياع حجتهم ـ أصدروا حكمهم عليه بالموت

---

(١) بسورة نوح الآيات ٥ ـ ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .
(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

حرقاً ﴿**قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾[1]

ولكن إبراهيم لم يجزع ولم يصب بانهيار يفقده وعيه بل وقف أمام الجمع المتجمع من قومه صابرا مطمئنا إلى مصيره تغمره الثقة بالله .. فانجاه الله من كيدهم وحر نارهم قال تعالى ﴿**قلنا يانار كونى برداً وسلاما على إبراهيم**﴾ .[2]

ولما أمر المولى عز وجل خاتم رسله ﷺ بالصبر قال ﴿**واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا**﴾[3] وبين له ما حدث لإخوانه الأنبياء من قبل فقال ﴿**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ..**﴾[4] وحكى على لسانهم رداً على العصاة المؤذين من أقوالهم ﴿**ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون**﴾ .[5]

وإيذاء المشركين للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين لا يقف عند حد الايذاء فى الأنفس والأموال بل قد يتعدى الأمر إلى طردهم من بلادهم التى نشأوا عليها وترعرعوا فيها كما حدث لشعيب عليه السلام وغيره من الأنبياء قال تعالى : ﴿**قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا**﴾[6]

لذا يهىء سبحانه المؤمنين لاستقبال ما سينالهم من الأذى والبلاء من أهل الكتاب والمشركين آمراً اياهم بالصفح والصبر

(١) سورة الأنبياء الآية ٦٨ . (٢) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .
(٣) سورة المزمل الآية ١٠ . (٤) سورة الانعام الآية ٣٤ .
(٥) سورة ابراهيم الآية ١٢ . (٦) سورة الأعراف الآية ٨٨ .

والعفو حتى يأتى فرج الله .. قال تعالى ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ .[1]

وقد وضح أيضاً ما أعده للصابرين على اقداره من جزاء حسن فقال ... ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2]

وصلوات الله ورحمته وشهادته بأنهم هم المهتدون .. وهذه والله مكافاة ما كانت لتخطر على بال .. وجزاء يهون عند تحصيله كل ألم ويذوب كل شعور بابتلاء .. وهو جزاء عظيم تتضاءل أمامه التضحية بالأنفس والأموال والثمرات ويهون الخوف والجوع والشدة .. ولو تأملنا الآية نرى أن لطف الله موجود حتى فى ابتلائه فجعل البلاء (**بشيء من الخوف**) و (شيء) منكر لبيان قلته وحقارته فربما لو كان أكبر ما كانوا يستطيعونه .

ولما كانت دعوة سيدنا محمد ﷺ دعوة شاملة عامة لكل الناس .. دعوة أتت لتغير عقائدهم وتقاليدهم ونظمهم ، كان أعداؤها أكثر وكانت حاجة مؤسسها إلى الصبر أكبر ، لذا نرى أن أوامر الله لرسوله ﷺ بالصبر كثيرة :

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٦ .
(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧ .

١ ـ فمرة يصبره على أذى المشركين ويدعوه ليقتدى ببعض الأنبياء فيقول له جل وعلا ﴿**اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد**[١] **إنه أواب**﴾[٢]

٢ ـ ومرة يصبره على أذاهم ويصرفه عن ذلك الأذى والبلاء بطلب التوجه إليه وأمره له بتسبيحه .. وذلك أن التسبيح وذكر الله ينسى المرء آلامه ويوسع له صدره فيقول تعالى ﴿**فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك**﴾[٣] ﴿**فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ..**﴾[٤]

٣ ـ ومرة يأمره بالصبر لحكم ربه وقضائه وبلائه[٥] .. ويثبته على صبره ويبين له أنه معه فى كل خطوة وذلك فى قوله تعالى ﴿**فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت**﴾[٦] ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾[٧]

ويرى الفخر الرازى : ان معنى (واصبر لحكم ربك) إما أن يكون فى تأخير الأذن فى القتال ـ الذى كان يتعجله بعض أصحابه ـ أو يكون المعنى عاماً فى جميع التكاليف أى فاصبر

---

(١) يقول الطبرى : ذا الأيد : ذا القوة والبطش الشديد فى ذات الله والصبر على طاعته ج ٢٣ ص ٨٦ ، وروى ابن كثير عن ابن عباس الأيد : القوة وعن قتادة أعطى داود قوة فى العبادة وفقها فى الاسلام ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) سورة ص الآية ١٧ .

(٣) سورة ق الآية ٢٩ .

(٤) سورة طه الآية ١٣٠ .

(٥) ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٥ ، ٤٠٨ .

(٦) سورة القلم الآية ٤٨ .

(٧) سورة الطور الآية ٤٨ .

فى كل ما حكم به ربك سواء كان ذلك تكليفاً خاصاً بك من العبادات والطاعات أو متعلقاً بالغير وهو التبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك[1] .

فكأنه يقصد أن الحكم فى الآية هو الحكم الشرعى التكليفى دون الكونى القدرى وان كان المتبادر هنا أكثر هو الحكم القدرى لارتباط الصبر فى الذهن بما قضاه الله من بلايا .

٤ ـ ومرة أخرى يحبب له الصبر على بلائه وعلى ما يجده من مشقة فى تبليغ دعوته أو من أذى الكفار[2] حاثاً له على أن يكون صبره لله وحده لا لشيء آخر غير وجه الله تبارك وتعالى فقال ﴿**ولربك فاصبر**﴾[3] أى اجعل صبرك لله تعالى لا للدنيا ولا للسمعة ولا لطلب الثناء ..

ولا شك أن أفضل أنواع الصبر ـ وإن كان جميعها واجباً ـ الصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى والقيام بواجب العبودية له خاصة وانه جل وعلا قد صرح بذلك فى قوله تعالى ﴿**رَّبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾[4]

والاصطبار أعلى مرتبة فى الصبر وقرنت هنا بالعبودية والعبودية لا تعنى تأدية الشعائر فقط .. وإنما هى أن يستشعر

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
(٢) الكشاف ج ٤ ص ١٨١ .
(٣) سورة المدثر الآية ٧ .
(٤) سورة مريم الآية ٦٥ .

المرء أنه يتعبد لله فى كل صغيرة وكبيرة فى كل حركة ونية وفى ذلك مشقة تحتاج إلى اصطبار .. مشقة لها لذة لا يعرفها الا من تذوقها وأحس بعبوديته لله بكل اخلاص وصدق ، يقول الغزالى فى هذا المعنى (والصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية ..) وقال أيضاً (فان العبودية شاقة على النفس مطلقاً ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد)[1]

وأما ابن عباس رضى الله عنه فيرى غير ذلك حيث يقول : الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء الفرائض لله تعالى وصبر عن محارم الله تعالى وصبر فى المصيبة عند الصدمة الأولى ، فمن صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ، ومن صبر على محارم الله فله ستمائة درجة ، ومن صبر فى المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . يقول صاحب قوت القلوب : ولم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لأنه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لأن االصبر عليها من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وانما فضل المقام فى اليقين على مقام الاسلام .[2]

وأما ابن القيم فيؤيد ما اخترته من كون الصبر على الطاعة هو الأفضل والأعلى مرتبة عند الله ويعارض ما مال إليه ابن عباس

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٨ .

(٢) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٨ .

حيث قال : فان هذا الصبر ـ أى على البلاء ـ يأتى به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلابد لكل أحد من الصبر على القدر اختيارا أو اضطرارا .[1]

ويقول ابن القيم أيضاً فى كتابه المدارج : ان الصبر على طاعته والصبر عن معصيته أكمل من الصبر على اقداره ـ كما فى صبر يوسف ـ فان الصبر فيها صبر اختيار وإيثار ومحبة . والصبر على أحكامه الكونية : صبر ضرورة . وكذلك كان صبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام على مانالهم فى الله باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم قومهم : أكمل من صبر أيوب على ما ناله فى الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسبباً عن فعله . وكذلك كان صبر اسماعيل الذبيح وصبر أبيه إبراهيم عليهما السلام على تنفيذ أمر الله أكمل من صبر يعقوب على فقد يوسف عليهما السلام .[2]

---

(١) عدة الصابرين ص ٢٦ .
(٢) مدارج السالكين ص ١٦٩ ج ٢ .

الفصل الثانى

الأسباب التى تعين على الصبر

- □ الإيمان بقدر الله وقضائه .
- □ معرفة الإنسان بطبيعة الحياة الدنيا .
- □ معرفة الإنسان نفسه .
- □ اليقين بفرج الله .
- □ الاستعانة بالله .
- □ الاقتداء بالأنبياء .
- □ اليقين بالجزاء الحسَن للصّابرين .



الأسباب التى تعين على الصبر

لما كانت للصبر مشقة وصعوبة على النفس أرشدنا ابن القيم لدواء يعين عليه : فالصبر وان كان شاقاً كريهاً على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مفردين : العلم والعمل فنهما تركب جميع الأدوية التى تداوى بها القلوب والأبدان فلا بد من جزء علمى وجزء عملى فنهما يركب هذا الدواء الذى هو أنفع الأدوية ، فأما الجزء العلمى فهو ادراك ما فى المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال ، وادراك ما فى المحظور من الشر والضر والنقص ، فاذا أدرك .. هذين العلمين كما ينبغى أضاف إليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الانسانية وضم هذا الجزء إلى هذا الجزء فمتى فعل ذلك حصل له الصبر وهانت عليه مشاقه وحلت له مراراته وانقلب ألمه لذة .[1] وهناك بعض الأسباب التى تعين عليه :

١ ـ الايمان بقدر الله وقضائه :

مما يعين المرء ـ خاصة المؤمن ـ على الصبر ايمانه بقدر الله وانه واقع لا محالة فى ذلك .. وان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .. وما دامت نكبات الدهر وحوادث الأيام لا دخل

---

(١) عدة الصابرين ص ٤١ ، ٤٢ .

للإنسان فيها ومادام مؤمناً بأن مقادير الله نافذة سواء رضى بها المرء أم أبى وسواء صبر أم جزع كان لذلك أثر فى نفس المؤمن حيث يخفف وقعة المصيبة عليه . يقول تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَاكُمْ﴾ [1]

أى ما وقع من مصيبة فى الأرض كالجدب ولا فى النفوس كالمرض والعاهة والموت الا وذلك مقدر مكتوب فى اللوح مثبت فى علم الله من قبل أن يخلق الله الخلق وهو إنما أثبت ذلك لتكون النفوس أكثر ثباتاً وأرحب صدراً فى استقبال الأحداث فلا تحزن على مافاتها من نعم الدنيا حزناً يزعزعها ولا تفرح بهبات الله فرحاً يذهلها .. وإذا ما علمت أن الكل مقدر هانت عليها المصائب مهما كانت . [2]

أما من يجزع ويتبرم ويبالغ فى الشكوى فلن ينفعه ذلك ولن يغير من المكتوب عليه شيئاً ولن يرد له مافات ولا يحيى له من مات .. وفى خطاب الله جل وعلا لرسوله ﷺ هذا المعنى فبعد أن أمره بالاقتداء بالأنبياء فى الصبر على إيذاء المشركين قال له ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾ [3] أى عليك أن تصبر صبر الأنبياء قبلك

---

(١) سورة الحديد الآيات ٢٢ ، ٢٣ . (٢) تفسير البيضاوى ص ٦٨٣ .

(٣) سورة الانعام الآية ٣٥ .

وان شق عليك وعظم إعراضهم عن الاسلام واستطعت أن تجد منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو تجد مصعداً تصعد به إلى السماء فتنزل لهم آية تقنعهم فافعل ما بدا لك وانك لا تستطيع ذلك فاصبر على إعراضهم وأذيتهم فهذه مشيئته جل وعلا ولو شاء لوفقهم للإيمان ﴿**فلا تكونن من الجاهلين**﴾ فتجزع حيث يكون الصبر واجباً وأنت تعلم بأن ذلك كله مقدر مكتوب .[١]

٢ - معرفة الانسان بطبيعة الحياة الدنيا :

لا شك أن من عرف أن هذه الحياة ليست دار نعيم ولا دار خلود بل هى دار ابتلاء .. دار اعداد لدار البقاء من عرف ذلك وأدرك أن الحياة ليست طريقاً مفروشاً بالزهور والرياحين لم يفاجأ بكوارثها ولم يدهش لأحداثها ، نعم ان المولى عز وجل خلق هذه الحياة الدنيا على طبيعة متقلبة طبيعة امتزجت فيها الأشياء المحبوبة بالمكروهة والمؤلمة بالمفرحة فقلما نجد فيها صحة لا ينغصها مرض أو لذة لا يخالطها ألم أو فرحاً لا يكدره حزن أو اجتماعا لا يكدره فراق أو نجد الراحة والأمان منفردين غير ممتزجين بالتعب والخوف أو نرى عزاً لا يقارنه ذل أو غنى لا يعقبه فقر ... هذه هى طبيعة الدنيا أشار إليها القرآن الكريم بقوله ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ .[٢]

---

(١) تفسير النسفى ج ٢ ص ١٠ ، تفسير البيضاوى ص ٢٠٢ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

فمن أدركها ووعاها على حقيقتها هان عليه أمرها ولم يصعب عليه ما تأتى به من مصائبها ، يقول ابن القيم فى بيان علاج حر المصيبة وحزنها :

ومن علاجه أن يطفىء نار مصيبته ببرد التأسى بأهل المصائب وليعلم أنه فى كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى الا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى الا حسرة ؟ وأنه لوفتش العالم لم ير فيهم الا مبتلى اما بوفاة محبوب أو حصول مكروه وان سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل ان أضحكت قليلا أبكت كثيراً ، وان سرت يوماً ساءت دهراً وان متعت قليلاً منعت طويلا وما ملأت دار خيرة الا ملأتها غبرة ، ولا سرته بيوم سرور الا خبأت له[1] يوم شر. وما أجمل ما ذكره الشاعر فى وصف الدنيا :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وان أقبلت كانت كثيرا همومها[2]

ومن ثم يكفينا زهداً فى الدنيا وتحمل آلامها ما ضربه الله لنا مثلاً لها ﴿**وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ به نبات الأرض**﴾[3]

٣ ـ معرفة الانسان نفسه :

واقصد بذلك أنه لا بد وان يدرك أنه ملك لله عز وجل فهو الذى أوجده من العدم ومنحه الحياة والحركة والشعور وأعطاه

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ١٤٨ .
(٢) جواهر الأدب للهاشمى ج ٢ ص ٤٨٣ .
(٣) سورة الكهف الآية ٤٥ .

السمع والبصر والفؤاد وأسبغ عليه نعمه الجمة الكثيرة من مال وأهل وولد وعشيرة وغيره .. يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾** [1] فاذا استرد المالك العظيم وديعته ما بال الانسان يسخط ويحزن ويتألم ؟ .. وما باله لا يقول ـ مخلصاً ـ كما علمه الله **﴿إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون﴾** إذا نزلت به مصيبة أو حلت به كارثة ؟

وما الذى يمنع من اقتدائه بالسلف الصالح ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : اشتكى ابن لأبى طلحة .. فمات وأبوطلحة خارج فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته فى جانب البيت ، فلما جاء أبوطلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبوطلحة أنها صادقة قال : فبات فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع النبى ﷺ ثم أخبر النبى ﷺ بما كان منهما فقال رسول الله ﷺ **(لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما)** قال سفيان بن عيينة فقال رجل من الأنصار فرأيت لها تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن . [2]

فحينما أرادت أم سليم ـ زوجة أبى طلحة ـ أن تخبره بموت ابنه أخبرته بأسلوب هادىء مقنع كى يتجلد ويصبر عسى الله أن يعوضهما عنه خيراً فجاء فى صحيح مسلم أنها قالت : (يا أبا طلحة أرأيت لو

---

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة وفى فتح البارى ج ٣ ص ١٣٦

أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا قالت : فاحتسب ابنك)[1] فشاهدنا من القصة ما جاء على لسانها رضى الله عنها أن الأبناء عارية من الله يمنحها لمن يشاء من عباده ويستردها متى شاء ، فالإيمان بهذه الحقيقة .. وبهذا المعنى يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألم الكارثة مادام يعلم أن صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء .

٤ ـ اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت لا شك فيه وأن بعد الضيق الفرج وأن بعد العسر يسرا وأن بعد الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى ﴿**سيجعل الله بعد عسر يسراً**﴾[2] وأحياناً مقروناً به ﴿**فان مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا**﴾[3]

مثل هذا اليقين كفيل بمعاونة المرء على صبره .. كفيل بإشاعة الأمل فى نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحققه فالله لا يخلف الميعاد . قال تعالى ﴿**فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك**﴾[4] ومحال على الله أن يخلف وعده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جل شأنه ﴿**إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ .[5]

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم ج ١٦ ص ١٢ .
(٢) سورة الطلاق الآية ٦ . (٣) سورة الانشراح الآيات ٥ ، ٦ .
(٤) سورة غافر الآية ٥٤ . (٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

أى يعوضهم فى الدنيا خيراً عدا ما يخبئه لهم فى الآخرة .. والأمثلة على تعويض الصابرين ـ الموقنين بفرج الله ـ خيراً كثيراً معروفة :

منها ما عرفناه من قصة أيوب عليه السلام حين أيقن بفرج الله ورضى بما وقع له .. انتهى به صبره إلى أحسن النتائج والعواقب .

ومنها ما حصل لأم سلمة رضى الله عنها حين توجهت بكليتها إلى خالقها وأملت منه الفرج بالخير لها ولأيتامها فكان أن أخلف لها الله عن زوجها رسوله ﷺ فعنها رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول** : **إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها» الا أجره الله فى مصيبته وأخلف له خيراً منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ فأخلف الله لى خيرا منه رسول الله** ﷺ .[1]

ومنها ما وقع ليوسف عليه السلام من حوادث عظام صبر عليها موقناً برحمة الله فكان نصره جل وعلا له بتمكينه فى الأرض . قال تعالى ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ**﴾[2] ويرد أهله إليه .

٥ ـ الاستعانة بالله :

ومما يساعد الصابر على تجرع مرارة الصبر معرفته بأن الله مع الصابرين واصبروا إن الله مع الصابرين فاذا صبر فهو فى حمى الله

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة ج ٦ ص ٢٢١ .
(٢) سورة الكهف الآية ٥٦ .

ورعايته ، هو تحت عناية الله وملاحظته ومن كان كذلك لن يظلم ولن يهان ولن يخاف .. بل عليه أن يصبر ويتحمل المشاق والمتاعب .. هذا وقد أرشد موسى عليه السلام قومه إلى الاستعانة بالله حينما هددهم فرعون بأن يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم .. فقال لهم كما قال الله ﴿**استعينوا بالله واصبروا**﴾[1] فينبغي على المرء إذا حلت به نكبة أو أصابته مصيبة أن يتوجه إلى خالقه ويستعين به ويدعوه فلعله يصادف ساعة إجابة أو يتعرض لنفحة من نفحات الله ورحماته .

٦ ـ الاقتداء بالأنبياء :

فالنظر فى حياة الأنبياء وأتباعهم الصالحين وصبرهم على ما أصابهم من مشاق ومتاعب وأذى ومصائب .. يعين على الصبر .. فلقد لاقى الأنبياء ما لاقوه من الابتلاء والأذى ولكنهم صبروا وتحملوا ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**﴾[2]

لذا نجد القرآن ـ المكى خاصة ـ يورد لنا قصص الأنبياء فى بداية الدعوة وذلك تسلية للنبى ﷺ وأصحابه الأجلاء وتثبيتاً لقلوبهم لمواجهة الصعاب والأذى من المشركين . يقول تعالى ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾[3] ويقول تعالى ﴿**أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[4] ويقول

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٨ . (٢) سورة الانعام الآية ٣٤ .
(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥ . (٤) سورة الانعام الآية ٩٠ .

تعالى ﴿واذكر عبدنا أيوب إنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾[1]

ويقول أيضاً دافعاً المؤمنين للاقتداء بمن سبقهم فى صبرهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ..﴾[2]

٧ ـ اليقين بالجزاء الحسن للصابرين :

وهو خير ما يعين المرء على صبره يقول أبوطالب المكى : وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لأنه لو قوى يقينه كان الأجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً فيحسن صبره .[3]

ولما كان بيان الجزاء دافعاً لإتقان أى عمل من الأعمال ... وكان رب العزة عالماً بنفوس خلقه فقد أشار إلى حسن جزاء الصابرين فمرة تحدث عن ذلك الأجر بأسلوب المدح فقال ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ * ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ...﴾[4] ومرة أخرى بين أن ذلك الأجر أحسن من أعمالهم . قال تعالى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ .[5]

ومرة أشار إلى أهم شيء فى ذلك الأجر وهو تزكيته جل وعلا ولطفه واحسانه وشهادته للصابرين بأنهم مهتدون ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[6]

---

(١) سورة ص الآية ٤٤ . (٢) سورة البقرة الآية ٢١٣ .
(٣) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٩ . (٤) سورة العنكبوت الآيات ٥٨ ، ٥٩ .
(٥) سورة النحل الآية ٩٦ . (٦) سورة البقرة الآية ١٥٥ ، ١٥٧ .

وأخيراً صرح للصابرين بحقيقة أجرهم وعظمته فقال عز شأنه ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[1]

وإذا تيقن الانسان بحسن الجزاء وعظم أجر الصبر عند الله هان عليه وقع المصيبة على القلب وخفت مرارتها على النفس وكلما كان اليقين بحسن جزاء الله فى النفس قوياً كلما ضعف شعورنا بألم المصيبة .. نسأل الله أن يجعلنا من الصابرين وأن يرزقنا من اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا .

---

(١) سورة الزمر الآية ١٠ .

الفصل الثالث

الأمور المضادة للصبر

□ الاستعجال .
□ الغضب .
□ الشكوى .
□ الحزن والضيق .
□ اليأس .

الأمور المضـــادة للصبر

ينبغى لمن أراد أن يكون صابراً الأخذ بالأسباب المعينة عليه والبعد عن الأمور المضادة له المعوقة عن التحلى به والتى منها :

١ ـ الاستعجال :

ويشير القرآن الكريم إليه وكأن فى لهجته الذم ﴿**خلق الانسان من عجل**﴾[١] فالمرء وان طبع على حب العجلة فى أموره جميعها عليه ألا ينقاد لطبيعته تلك بل يعى أن لله فى خلقه سننا لا تتبدل ، وأن لكل شيء أجلا مسمى ولكل عمل جزاء حسنا والثمرة لا تنضج الا عندما يحين أوان نضوجها .. وهيهات أن ينضجها استعجال الانسان .

يقول ابن القيم مفسرا قوله تعالى ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا**﴾[٢] وإذا أردت معرفة الهلوع فهو الذى إذا أصابه الجوع مثلاً أظهر الاستجاعة وأسرع بها وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية وأظهرها .. وإذا بدا له مأخذ طمع طار إليه سريعاً وإذا ظفر به أحله من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا افضال وهذا كله من صغر النفس ودناءتها .[٣]

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٧ . (٢) سورة المعارج الآية ١٩ .

(٣) عدة الصابرين ص ٢٢٥ .

ولهذا حث المولى عز وجل رسوله ﷺ على الصبر فقال **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾** (١) أى لا تستعجل لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة فى ذلك .. (٢) ومن ثم فالمشركون لجهلهم يستعجلون عذاب الله غرورا بأنفسهم وعناداً له ﷺ فيأتيهم الجواب **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** (٣) أى لولا أجل مسمى هو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بآجالهم ، والمعنى ولولا أجل قد سماه وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلاً وليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه . (٤)

فالاستعجال على ذلك ليس من صفات المؤمنين .. وهو أيضاً ليس من صفات العاقلين الصابرين ، يقول ابن القيم فى العجلة : ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة فى العبد . (٥)

٢ ـ الغضب :

وهو أيضاً من الأمور المنافية للصبر المضادة له ولما كان الصبر عدة قوية فى يد المصلح والداعية إلى الله فعليه ألا يغضب من المعرضين عنه مهما حاولوا أن يستفزوه بالسخرية منه أو الاستهزاء

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٥ . (٢) البيضاوى ص ٦٤٦ .
(٣) سورة العنكبوت الآية ٥٣ . (٤) النسفى ج ٣ ص ١٦١ .
(٥) الروح لابن القيم ص ٢٥٨ .

به أو اطلاق اللسان بسببه أو اصابته بأذى أو ما شابه ذلك ، عليه أن يصبر على من يدعوهم ويعاود الدعوة مرة بعد مرة ، عليه أن يكظم غضبه وألا ييأس من رحمة الله فى هدايتهم ولا يفعل كما فعل يونس عليه السلام حيث ضاق من قومه وتركهم غاضباً منهم دون أن يستأذن الله فى ذلك وتلك الفعلة ما كان لنبى أن يفعلها لأول بادرة سوء يصادفها من قومه أو إعراض عنه وكان لا بد من درس يتلقاه النبى من ربه وهو أن يخرج من ضيق إلى ضيق أشد وأقسى وهو جوف الحوت قال تعالى **﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**[1] ولكن رحمة الله أخرجته إلى اليابسة وعاد إلى المدينة التى فارقها ليعاود الدعوة إلى الله وهو أشد يقينا وأرحب نفساً فكان أن وفقه الله[2] .

ولهذا يحذر المولى عز وجل نبيه محمداً ﷺ من الاستجابة لداعى الغضب وذلك فى قوله تعالى **﴿واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾**[3] فيدعوه ليصبر لحكم ربه ويتحمل الأذى لتبليغ رسالته ولا يندفع وراء انفعالاته بل يصبر وينتظر نصر ربه وفرج خالقه .

٣ ـ الشـــكوى :

مما يقدح فى الصبر ويخرج المرء عن مقام الصابرين التسخط والجزع الشديد ومظاهره بفعل أمور لا ينبغى أن يفعلها المؤمن من

(١) سورة الصافات الآية ١٤٣ . (٢) مع الأنبياء ص ٣١٠ .
(٣) سورة القلم الآية ٤٨ .

شق الجيوب ولطم الخدود . يقول ﷺ **(ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)** [(١)]

أي من ينخلع قلبه للمصيبة ويجزع فلا يعرف الثبات والشجاعة فى ملاقاة المحن بل يلطم الخدود ويدق الصدور ويشق الجيوب ويدعو بدعوى الجاهلية فيقول وا أبتاه .. واقرباه .. وامصيبتاه .. ويقول كل ما يعترض بها على القدر وينقد قضاءه .. من كان كذلك فليس من المسلمين ، إنما المسلم الثابت الرزين الصابر المحتسب هو الذى لا يدفعه الحزن إلى التسخط . [(٢)]

وإذا اشتكى العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه أما إن شكى إلى الله تعالى أمره لم يكن ذلك شكوى بل استضعاف وتملق واسترحام له [(٣)] كنداء أيوب ربه **﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾** [(٤)] وقول يعقوب عليه السلام **﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾** [(٥)]

يقول ابن القيم : وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرورة لم يقدح ذلك فى الصبر كإخبار المريض للطبيب بشكايته ، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله وإخبار المبتلى ببلائه لمن يرجو أن يكون فرجه على يديه . [(٦)]

---

(١) رواه البخارى كتاب الجنائز باب ليس منا من لطم الخدود ـ وانظر فتح البارى ج ٣ ص ١٣٢ .

(٢) الأدب النبوى ص ٢٢ (٣) الروح لابن القيم ص ٢٥٩ .

(٤) سورة الأنبياء الآيةو ٨٣ . (٥) سورة يوسف الآية ٨٦ .

(٦) عدة الصابرين ص ٢٣٢ .

٤ ـ الحزن والضيق :

قد يبلغ الحزن بالانسان مبلغاً يجعله يقنط من الفرج ، وقد يصل به الضيق لعدم تحقق الأمر الذى يريد إلى درجة عالية تنسيه تلك الحقيقة وهى : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .. ومهما يجد المرء من إيذاء القوم له وعدم اقتناعهم بالفكرة التى يدعوهم إليها .. عليه أن يصبر وهذا ما وجه إليه القرآن الكريم رسول هذه الأمة **﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾** (١)

ولحرصه ﷺ على هداية أمته وإرشادها إلى الطريق المستقيم بلغ الضيق والحزن به من إعراض القوم وتعنتهم مبلغاً جعل المولى عز وجل يخاطبه بلهجة حاسمة فيقول له **﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٢) **﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** (٣) وقوله تعالى **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً﴾** (٤)

٥ ـ اليـأس :

لا شك أن كل عامل مهما كان عمله يرجو أن تتحقق آماله وتنجح مقاصده ، فالزارع الذى يدفع نفسه إلى تحمل مشقة الزرع وسقيه وتعهده لا بد وأن يؤمل حصاداً طيباً ، ولا بد له من الصبر حتى يتحقق أمله أما إذا غلب عليه اليأس ، وتضاءل شعاع الأمل

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٧ . (٢) سورة الشعراء الآية ٣ .
(٣) سورة فاطر الآية ٨ . (٤) سورة الكهف الآية ٦ .

لم يكن لديه صبر على استمرار العمل فى الأرض أو زرعها ومثله طالب العلم ففلا بد له من الصبر على درسه والاستهانة بالصعاب مهما كانت ولا بد له أن يؤمل النجاح ويضعه نصب عينيه وإذا فشل ـ لا سمح الله ـ فعليه ألا ييأس من رحمة الله وليفتش عن أسباب فشله ليتفاداها .

ولقد حرص القرآن الكريم على إبعاد اليأس عن المؤمنين وبذر الأمل فى نفوسهم فجاء قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (١) وقال تعالى حاكيا لما قاله يعقوب عليه السلام لبنيه ﴿يَابَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ (٢)

ولما كان الأمل معينا على الصبر كان اليأس من أعظم الموانع عن الصبر .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

((٢)ف

سـورة يوسف الآية ٨٧ .

«الفصل الرابع»

تداخل حقيقة الصبر بالشكر

نعم ، ان الانسان قد يبتلى بالضراء كما يبتلى بالسراء وبالغنى كما يبتلى بالفقر وبالصحة كما يبتلى بالمرض وهذا وغيره امتحان من الله سبحانه وتعالى فهو القائل ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَانَنِ﴾ [1] وقال تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ....﴾ [2]

فاذا اختبره بالغنى واليسر والتوسعة فى النعمة اعتقد أنه استحق ذلك الإكرام ، وإذا امتحنه بضيق الرزق ظن أن الله أهانه وعاقبه . [3] وهو فى كلا الأمرين مخطىء فى ظنه واعتقاده فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله عز وجل ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر فيها ، ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر منها فان شكر نعمة الله بأن صرفها فى وجوه الخير وصرفها بعقل وحكمة فقد صبر .

ومن صبر على بلاء الله وحمد الله واسترجعه فقد شكر فكل من الصبر والشكر داخل فى حقيقة الآخر ، فالشكر هو العمل بطاعة

(1) سورة الفجر الآيات ١٦ ، ١٧ . (2) سورة الأنبياء الآية ٣٥ .

(3) ابن كثير ج ٤ ص ٥٠٩ .

الله وترك معصيته والصبر أصل ذلك ، والصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر ، وإذا كان الصبر مأمورا به فأداؤه هو الشكر.. إذن هما اسمان لمعنيين متغايرين غير أن الواحد منهما لا يمكن أن يستغنى عن صاحبه أو يفضل عليه ولكن أبا طالب المكى يقول فى تفضيله الصبر على الشكر : الصبر حال البلاء ، والشكر حال النعمة ، والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] فالشاكر يوفى أجره بحساب لأن (انما) تحقيق للوصف ونفى ما عداه[2] ويقول أيضاً : واعلم أن الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لأن منْ صبر أن لا يعصى الله بنعمة فقد شكرها ومن أطاع الله فصبر نفسهِ على طاعته فقد شكر نعمته .[3]

ويرى الغزالى أنه يمكن القول بأن االصبر الذى يفهمه عامة الناس أفضل من الشكر الذى يفهمونه.. وان كان قد فصل فى تفضيل أحدهما على الآخر وبالعكس فرة يقول : قد بينا أن الصبر قد يكون ععلى الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة ... والنعمة إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلاً وإما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال ، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يرتخص بسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين :

---

(١) سورة الزمر الآية ١٠ . (٢) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠٠ .

((٣) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠١ .

أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والآخر أن يستعملهما فى الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فان الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكراً لنعمة العينين .. فقد دخل الصبر فى شكره وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضاً فيه من صبر على الطاعة ، ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر .[1]

ويقول الغزالى أيضاً فى موضع آخر :

وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر .[2]

ولكننا لا نستطيع أن نفضل الصبر على الشكر أو بالعكس بل نستطيع القول بأن الحالة التى يكون فيها المرء اتقى لله هى الأفضل ، رغم أن الحالتين لا يستغنى عنهما المرء .

أيد هذا ابن قيم الجوزية بقوله حينما سئل عن أيهما أفضل صبر الفقير إذا تم ؟ أم شكر الغنى إذا تم : أتقاهما لله فى وظيفته ومقتضى حاله . ولا يصح التفضيل بغير هذا البتة ، فان الغنى قد يكون اتقى لله فى شكره من الفقير فى صبره . وقد يكون الفقير اتقى لله فى صبره. من الغنى فى شكره . فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل . ولا يصح أن يقال هذا بالشكر أفضل من هذا

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٣٦ .
(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٣٧ .

بالصبر ولا بالعكس لأنهما مطيتان للإيمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل.[1]

ويذكر ابن القيم تداخل الصبر بالشكر مبينا عدم استغناء أى فرد مسلم عنهما فيقول :

الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد فى أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يستغنى عنهما طرفة عين ، والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل ، وعن الطعام والشراب أيهما أفضل ، وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل فالمأمور لا يؤدى الا بصبر وشكر ، والمحظور لا يترك الا بصبر وشكر . وأما المقدور الذى يقدر على العبد من المصائب فمتى صبر عليه اندرج شكره في صبره كما يندرج صبر الشاكر فى شكره[2] والله أعلم .

---

(١) عدة الصابرين ص ١٢٦ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٢٥ .

الخاتمة

بعد هذا البحث الطويل الذى طوفت بسببه فى بعض المراجع والكتب يمكننى اجمال نتائجه فيما يأتى :

أولاً : إن فضيلة الصبر من أعظم الفضائل الاسلامية والأخلاق المثالية التى لابد منها ليعيش المسلمون راضين فى هذه الحياة .

ثانياً : عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بفضيلة الصبر دليل واضح على وجوب تحلى المسلمين به وتربيتهم على ممارسته خلقاً وسلوكاً .

ثالثاً : الصبر من الأخلاق الفاضلة المقرونة بالتقوى فى أكثر من موضع ولما كانت التقوى أرفع مقامات الدين كان الصبر أيضاً من أرفع أخلاق المؤمنين .

رابعـاً : إن الصبر أنواع وليس نوعاً واحداً كما يفهمه عامة الناس ، وهذه الأنواع واجبة لأنها مرتبطة بطاعة الله والبعد عن معصيته والرضا بقضائه .

خامساً : معرفة المسلم لأقسام الصبر تجعله يبتعد عن المكروه والمحظور منها .

سادساً : إن الصبر على البلاء لا يقل عن الشكر على النعم .

سابعاً : إن المؤمن محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا ـ بقدر الامكان ـ فلا يطلق نفسه للجرى وراء شهواتها من النساء والبنين والأموال والأنعام والحرث قال تعالى ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ**﴾[1] فانه ـ أى المؤمن ـ إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إلى الملاذ والانهماك فيها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان .

ثامنـاً : إن مقادير الله نافذة ، والعاقل من يصبر ويرضى لحكم الله حتى لا يحرم جزاء الصبر ، والا انتهى به الأمر إلى الصبر الاضطرارى الذى ليس له قيمة خلقية ولا دينية .

تاسعاً : إن خيرات الدنيا والآخرة مرتبة على فضيلة الصبر ، فبلوغ المقصد فى الدنيا ونيل المراد فى الآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل ما يحرص عليه الفرد والمجتمع منوط بالصبر .

□ □ □

(١) سورة آل عمران الآية ١٤ .

واحمده سبحانه وتعالى أولاً وآخر حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده .. وأسأله أن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أفعالنا وأن يختم بالصالحات أعمالنا .

وأصلى وأسلم على خير المخلوقين وقدوة الصابرين وإمام المتقين وخاتم النبيين سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين آمين .



فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم** .

(حرف الألف)

٢ ـ **أحكام القرآن** لأبى بكر محمد بن عبدالله (ابن العربى)
دار الفكر بيروت ـ الطبعة الثالثة .

٣ ـ **احياء علوم الدين** للامام ابن حامد محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ ـ
دار احياء الكتب العربية ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر .

٤ ـ **الأدب النبوى** لمحمد عبدالعزيز الخولى ـ
المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ الطبعة السادسة .

٥ ـ **الاعلام** لخير الدين الزركلى ـ
بيروت ١٣٨٩هـ الطبعة الثالثة .

٦ ـ **أنبياء الله** لأحمد بهجت ـ
مطابع الشروق ــ بيروت ــ الطبعة الرابعة .

(حرف الباء)

٧ ـ **بلال مؤذن الرسول** تأليف عبدالحميد جودة السحار ـ
دار مصر للطباعة سعيد جودة السجار وشركاه .

(حرف التاء)

٨ ـ **تفسير ابن كثير** لابن الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ـ
دار احياء المكتبة العربية .

٩ ـ **تفسير النسفى** لأبى البركات عبدالله بن أحمد النسفى ـ
دار الكتاب العربى ـ بيروت .

١٠ ـ **تفسير البيضاوى** المسمى بتفسير القرآن الكريم ـ لناصر الدين
عبدالله البيضاوى ـ
مكتبة الجمهورية العربية بمصر ـ مجلد واحد .

١١ ـ **التفسير الكبير** لأبى عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشى
المعروف بفخر الدين الرازى ـ
المطبعة البهية المصرية بميدان الأزهر بمصر .

١٢ ـ **تهذيب الأخلاق** لأبى على أحمد بن محمد المعروف (بابن
مسكويه) ـ مطبعة محمد على صبيح بمصر ـ ١٣٧٨هـ .

١٣ ـ **تاج العروس** لمحى الدين أبى الفيض السيد مرتضى الحسينى ـ
دار الحياة بيروت ـ لبنان .

١٤ ـ **التكملة والذيل والصلة** للحسن محمد بن الحسن الصنعانى ـ
دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٠م .

(حرف الجيم)

١٥ ـ **جامع البيان فى تفسير القرآن** لأبى جعفر محمد بن جرير
الطبرى ـ دار المعرفة ـ بيروت الطبعة الثانية .

١٦ ـ **الجامع لأحكام القرآن** لأبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى ـ
دار الشعب القاهرة .

١٧ ـ **جواهر الأدب** لأحمد الهاشمى ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ الطبعة السادسة والعشرون ١٣٨٥هـ .

١٨ ـ **الجامع الصغير فى أحاديث البشير** للإمام جلال الدين السيوطى ـ مطبعة البابى الحلبى بمصر ـ الطبعة الرابعة .

(حرف الحاء)

١٩ ـ **حلية الأولياء** للحافظ أبى نعيم أحمد الاصبهانى ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

(حرف الخاء)

٢٠ ـ **خلق المسلم** لمحمد الغزالى
دار الكتب الحديثة ـ عابدين بمصر ـ الطبعة الثامنة .

(حرف الراء)

٢١ ـ **رياض الصالحين** لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت .

٢٢ ـ **الروح** لابن قيم الجوزية ـ
دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ .

٢٣ ـ **روح المعانى** لأبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى ـ إدارة الطباعة المنيرية .

٢٤ ـ **رجال حول الرسول** خالد محمد خالد ـ
دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

٢٥ ـ **الروض المربع** لمنصور بن يونس البهوتى المصرى ـ مكتبة السيد المؤيد الحسينى للطباعة والنشر ـ الطائف ١٣٨٩هـ .

(حرف الزاء)

٢٦ ـ **زاد المعاد فى هدى خير العباد** لمحمد أبى بكر (ابن قيم الجوزية) مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

(حرف السين)

٢٧ ـ **سنن أبى داود** لأبى داود سليمان بن الاشعث السجستانى ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ الطبعة الأولى .

٢٨ ـ **سنن الترمذى** لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذى ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة .

٢٩ ـ **سنن النسائى** لأبى عبدالرحمن بن شعيب النسائى ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ الطبعة الأولى .

٣٠ ـ **سنن ابن ماجة** طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(حرف الصاد)

٣١ ـ **صحيح مسلم بشرح النووى** ليحيى بن شرف النووى ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

٣٢ ـ **صفحات من صبر العلماء** لعبد الفتاح أبوغدة ـ مكتب المطبوعات الاسلامية ـ الطبعة الثانية .

(حرف العين)

٣٣ ـ **عون المعبود ـ شرح سنن أبى داود** لأبى الطيب محمد شمس الحق ـ الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ الطبعة الثانية .

٣٤ ـ **عدة الصابرين** لابن قيم الجوزية ـ
دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(حرف الفاء)

٣٥ ـ **فى ظلال القرآن** لسيد قطب ـ الطبعة السادسة .

٣٦ ـ **فتح البارى شرح صحيح البخارى** لشهاب الدين بن حجر العسقلانى ـ
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

(حرف القاف)

٣٧ ـ **القاموس المحيط** مجد الدين الفيروز آبادى ـ
دار الفكر ـ بيروت .

٣٨ ـ **قوت القلوب** لأبى طالب محمد بن على المكى ـ
المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦هـ .

٣٩ ـ **قصتا آدم ويوسف عليهما السلام** لعبد الكريم الخطيب ـ
دار الفكر العربى ـ بيروت .

(حرف الكاف)

٤٠ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل** لأبى القاسم جار الله محمود الزمخشرى ـ انتشارات آفتاب تهران .

٤١ ـ **كتاب الكبائر** لشمس الدين محمد أحمد الذهبى ـ دار احياء التراث العربى ـ بيروت .

(حرف اللام)

٤٢ ـ **لسان العرب المحيطة** لابن منظور ـ دار لسان العرب ـ بيروت ـ المجلد الثانى .

(حرف الميم)

٤٣ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** لمحمد فؤاد عبدالباقى ـ دار احياء التراث العربى ببيروت .

٤٤ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث** رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ـ مكتبة بريل فى مدينة ليون سنة ١٩٧١م .

٤٥ ـ **مفتاح كنوز السنة** للدكتور ا . ى . فنسنك ـ مطبعة كنول آرث بريس ـ لاهور ١٣٩١هـ .

٤٦ ـ **مسند أحمد** للامام أحمد بن حنبل ـ المكتب الاسلامى ـ دار صادر بيروت .

٤٧ ـ **مدارج السالكين** لابن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ .

٤٨ ـ **منهاج المسلم** لأبى بكر جابر الجزائرى ـ

دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثامنة .
٤٩ ـ **مع الأنبياء** لعفيف عبدالفتاح طبارة ـ
دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة الرابعة .
٥٠ ـ **المعاملات المادية والأدبية** لعلى فكرى ـ
مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ الطبعة الأولى .
٥١ ـ **المدخل لدراسة القرآن الكريم** د . محمد محمد أبوشهبة ـ
الطبعة الثانية .
٥٢ ـ **مجلة الوعى الاسلامى (العدد ١٣٩ ـ غرة رجب ١٣٩٦هـ)**
وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت .

(حرف النون)

٥٣ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** لمحمد بن على الشوكانى ـ
مطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأخيرة .

(حرف الواو)

٥٤ ـ **وفيات الأعيان** لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ـ دار صادر بيروت ـ المجلد السادس ـ تحقيق الدكتور احسان عباس .



فهرس الموضوعات

الفهرس

الباب الرابع
أنواع الصبر

صدر من هذه السلسلة

	الكتاب	المؤلف
١ ـ	تأملات فى سورة الفاتحه	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ	الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ	الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
١٤ ـ	الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ	وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ	السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ	التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ	صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ	النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ	الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ	لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ	السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ	مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ	دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ	تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ	البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ	حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ	القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ	القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ	المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ	الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]
٢٣ ـ	الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ	الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]

الكتاب	المؤلف
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوقى الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فودة]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ **الأسلام والنظر فى آيات الله الكونية**	[الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى]
٤٨ ـ دحض مفتريات	[د. البدراوى عبدالوهاب زهران]
٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ ـ معجزة خلق الإنسان	[د. عبد الرحمن عثمان]

المؤلف	الكتاب
[الدكتور سيد عبدالحميد مرسى]	٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية
[أنور الجندى]	٥٢ ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى
[د. محمد أحمد البابلى]	٥٣ ـ الشورى سلوك والتزام

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة